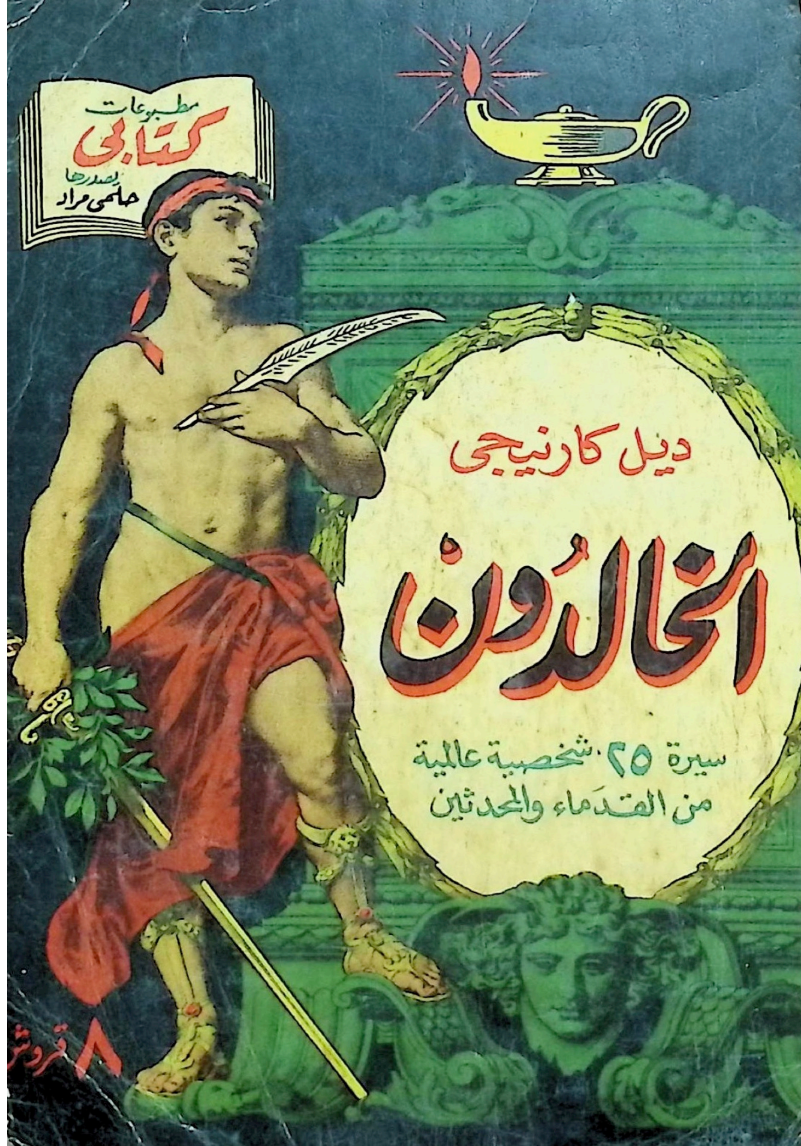
مطبوعات
كتابي
يصدرها
حلمي مراد
ديل كارنيجي
الخالدون
سيرة ٢٥ شخصية عالمية
من القدماء والمحدثين
٨ قروش

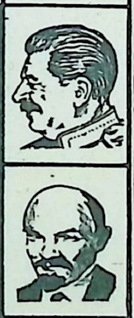

الخالدون

سيرة ٢٥ شخصية عالمية
من القدماء و المحدثين

للكاتب العالمي
ديل كارنيجي

مطبوعات

كتابى

ملاحق خاصة تصدر عن « كتابى » فى المناسبات ، متضمنة ترجمة كتاب طويل كامل من الكتب العالمية الممتازة ، القصصية وغير القصصية ، فى كل موضوع ، لاعظم المؤلفين

يصدرها : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث

الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦ ، ٦٥٦٠٨

مجموعة ((كتابى))

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الان خمسة وعشرون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديداول كل شهر .. وفيما يلى قائمة الكتب التى صدرت :

« خطايا الحب » وكتب أخرى . « قلب عذراء » . « الهاربة من الجنة » . « حواء الجديدة » . « أحدب نوتردام » . « جريمة حب » . « عشيقة نابليون » « مذكرات كيوبيد » . « صنم تحطم » . « حديقة الله » . «عندما تحقد المرأة» « لعبة الحب والموت » . « توبة خاطئة » . « أيها الربيع ترفق » . « الشيطان على الارض » . « ليدى هاملتون » . « الارملة المرحة » . « حياة جورج صاند» « حياة سارة برنار » . « رباعيات عمر الخيام » . « حياة بتهوفن » . « حياة موسولينى » . « كوخ العم توم » . « الزوج والعشيق » . « البوهيمية » .

وتطلب من ادارة كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ما عدا الاعداد الستة الاولى والعدد العشرين فقد نفدت ، وما عدا الاعداد الممتازة ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ويزيد ثمن كل منها قرشين .. وترسل القيمة باسم صاحب المجلة شخصيا باذن بريد عادى (فى مصر والسودان) ، وفى الخارج بشيك على بنك او حوالة بريدية عن طريق مكاتب البريد Money Order ولا تقبل العملة الاجنبية ولا اذونات البريد الخارجية .

الاشتراكات فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة .. وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان . عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن.. الخ) ترسل القيمة بشيك بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ـ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت وفى بغداد (بشارع السنك ، بغداد)

الاعداد السابقة من « مطبوعات كتابى »

قصة مدينتين (الثمن ١٠ قروش خالص رسم البريد المسجل)
ذات الثوب الابيض (الثمن ١٢ قرشا خالص رسم البريد المسجل)

المــؤلــف

• سئلت مسز كارنيجى يوما عن أهم مايضايقها من زوجها ، فأجابت بانه أحيانا لا يقوى على المثابرة على اتباع تعاليمه ومبادئه .. وأردفت ضاحكة :

ـ اننى كلما رأيته ينساق للغضب او يحيد عن الحكمة والروية ، اطالبه بان يرد لى الدولارات الستة والسبعين التى أنفقتها على الدراسة فى معهده ، لانه ـ وهو صاحب التعاليم التى دفعت من اجلها هذا المبلغ ـ لا يثابر على اتباعها ، وفى تهاونه فيها اثبات لعدم جدواها !

ويسمع كارنيجى هذا القول فيهز كتفيه ويقول ضاحكا بدوره :

ـ اننى بشر ، لا اتمالك نفسى احيانا من ان اغضب او اسخط .. ولعل لى عذرا فى أن نبى الصين « كونفوشيوس » كان يشكو ـ رغم حكمته وفلسفته ـ من انه لا يستطيع التمسك دواما بما كان يبشر به من تعاليم ومبادىء ..

رسالته : النجاح فى الحياة !

◆ **اما هذه** الرسالة التى يكل « كارنيجى » أحيانا عن مواصلة اتباع تعاليمها ، فهى رسالة « النجاح فى الحياة » .. وأما المبادىء والتعاليم التى يبشر بها فهى المبادىء والتعاليم التى تمكن الانسان من أن يكون على خير الصلات مع بقية الناس ، وأن يستطيع بحديثه أن يكسب ودهم وتقديرهم ومعاملاتهم وأن يشق طريقه فى الحياة قدما .. نحو المجد !

وليست هذه الرسالة وليدة البحث والتنقيب فى الكتب ، بقدر ما هى وليدة التجارب العملية فى الحياة ، فقد نشأ «كارنيجى» وعوامل الفشل تحوطه من كل جانب :

ولد فى بيت متواضع لقرويين جاهلين ، فقيرين ، يتكسبان اللقمة ـ دون الغموس فى أغلب الاوقات ـ من الزراعة فى قرية نائية عن العمران وأسباب الحضارة ، فى بطاح ولاية « ميسورى » الامريكية ..

وكان من نتائج الفقر المحتومة ، الشعور بالنقص ٠٠ وقد تعاون مع هـذا الشعور حياء طاغ راح يستبد بالصغير حتى جعله يكره المدرسة ، لانه كان يرى نفسه دون اى زميل فيها ٠٠ ومن ثم اخذ ينطوى على نفسه ، ويعتزل زملاءه ٠٠ لا ، بل هم الذين انتبذوه لفقره ، وزراية ملبسه ، وهزاله ، وضموره ، وشحوب وجهه ٠٠

كيف شفى من الحياء ؟

◆ ولكن النظام المدرسى كان يتطلب منه أن يشترك فى ميدان من ميادين النشاط المألوفة ٠٠ ودفعه أستاذه دفعا الى الانضمام الى فريق « المناظـرة والخطابة » ، فقد كان هذا هو الميدان الوحيد الذى لا يتطلب قوة عضلية يفتقدها ، أو نفقات يحول الفقر دون توفرها لديه ٠٠

ووجد « كارنيجى » نفسه فى المعمعة ، وليس له من مخرج ٠٠ فعول على ان يتغلب على هذا الحياء الذى يسد امامه أبواب الاستمتاع بالحياة ، وعلى ان يرضى كبرياءه فيظفر غلابا بما افتقد من اعجاب اقرانه ٠ ومن ثم عكف على اجادة أساليب الجدال ، وتوفر على اتقان فنون الالقاء ٠٠ حتى استطاع الفوز بزعامة المدرسة فى الخطابة والمناقشة ٠٠

وكانما كان هذا الفوز عصا سحرية الانت له عنت زملائه ، من طلبـة وطالبات ، فاذا مسلكهم نحوه يتغير ، واذا بهم يسعون الى صداقته ، بعد ان كانوا ينفرون منه !

وكان شفاء كارنيجى من الحياء ، باعثا لهمته ، مثيرا لثقته فى نفسه ٠٠ فاذا به يتوفر على تنمية هذه الثقة ومضاعفتها !

فشله فى البداية

◆ واذ اتم كارنيجى دراسته فى كلية « وارينسبرج » ، اضطرته ظـروف حياته الى التحول عن التحصيل ، والى البحث عن عمل يتكسب منه ٠٠ فرحـل الى ولاية « نبراسكا » حيث اشتغل وسيطا لاحدى مدارس المراسلات ، يستغل لباقته فى المناقشة ، وقدرته على التماس الحجج ، فى اقناع الناس بالاقبـال على برامج تلك المدرسة ٠٠ ولكن معظم الاهالى كانوا من المزارعين الـذين تضطرهم ظروف العيش الى الانصراف الى الكوخ ، والزهد فى الدراسـة ، فلم يصب « كارنيجى » توفيقا يذكر ٠٠

وكان قد بلغ العشرين من عمره ـ فى سنة ١٩٠٨ ـ عندما تمكن من الالتحاق باحدى شركات تعبئة اللحوم المحفوظة ، كوسيط لبيع منتجاتها ٠٠ فاقبـل يبذل من النشاط والجهد ما رشحه لان يصبح مديرا لاحد فروع الشركة ولما يكن قد انقضى على التحاقه سوى عامين !

يكن قد انقضى على التحاقه بها سوى عامين !

طموح ٠٠ وقلق

◆ ورد له هذا الانتصار ما كان قد أضاعه الاخفاق السابق من ثقة فى النفس ٠٠ وبعث فيه اعتدادا قويا ، وحماسا متوقدا ، ورغبة طاغية فى أن يواصل حملاته ليبلغ أقصى مراقى النجاح ، حتى أنه لم يتردد فى أن يستقيل من المنصب – الذى كان فى حد ذاته من معالم الفوز فى حياته – وأن ينزح الى «نيويورك» بحثا عن فرصة أكبر شأنا وأوسع مجالا ٠٠

وفى نيويورك ، عاودته الرغبة فى الاستزادة من فنون الحديث والالقاء والخطابة ، فالتحق بالاكاديمية الامريكية لفنون التمثيل ٠٠ وعمل فى الوقت ذاته فى بيع الحقائب الجلدية ليكسب قوته ونفقات الدراسة ٠٠ غير أنه لم يلبث أن مل « الاكاديمية » بعد تسعة شهور ، فتركها ، وعمل كوسيط لبيع سيارات النقل ٠٠

ولكنه كان قلقا لا يستقر على حال ٠٠ كانت جذوة الطموح الكامنة فى نفسه لا تدعه يهدأ ٠٠ وكانت الآمال المبهمة تضطره الى التقلب بين الاعمال والتنقل بين الوان النشاط ، بغية تعرف أيها اكثر ملاءمة لمواهبه وميزاته الكامنة « الخام » التى لم تجد بعد من الظروف ما يصقلها ويبرزها ٠٠

ومرة أخرى ، عاودته نزعة الجدال والخطابة ، فحاول أن يستغل هذه الموهبة بالعمل فى مدارس جمعية الشبان المسيحيين بنيويورك كمدرس لفن الخطابة العامة ٠٠

وبين التدريس والتلاميذ ، بدأ كارنيجى – فى سنة ١٩١٢ – يكون لنفسه شخصية ، ورسالة ، وهدفا : **اذ اوحت اليه تجاريبه بان الرجل الذى يقوى على مواجهة الجماهير والخطابة فيهم والمجاهرة بآرائه غير هياب ولا متحرج ٠٠ هذا الرجل جدير بان يشق طريقه فى الحياة وان يحقق آماله ويمسك بناصية النجاح ، وأن يقهر كل ما يعترضه نحو هذه الغاية من عوامل الخوف ، والقلق ، والحياء ، والشعور بالنقص ، وافتقاد الثقة فى النفس ٠٠**

٣٠٠ فرع لمعهده ٠٠ فى ١٦٨ مدينة !

وفيما كان يلقن هذه التعاليم لطلبته ، راح يروض نفسه عليها ، ويطبقها عمليا ٠٠ ونجح « كارنيجى » ٠٠ ونجحت البرامج التى كان يلقنها لتلاميذه ٠٠ ثم نجح كثير من هؤلاء التلاميذ فى الحياة ٠٠ وكان هذا هو البرهان الذى ارتقبه ، فايقن أن الظروف قد غدت مهيأة لرسالته ، وبادر الى انشاء « معهد كارنيجى » لتلقين كل راغب وسائل التاثير فى الناس بالقول والخطابة ، ووسائل معاملة الناس واكتساب ودهم وصداقتهم ٠٠

وكانما انبهر « النجاح » نفسه بما أحرزه « كارنيجى » فأسلس له قياده ، وسار فى ركابه ٠٠ **واصبح معهد « كارنيجى » من المعاهد الكبرى التى تعد**

الشخص للنجاح فى الحياة .. حتى لقد اصبحت المصالح الحكومية والشركات فى امريكا ، توفد اليه البعوث من رجالها ليتعلموا اسباب النجاح .. وحتى لقد اصبحت فروع المعهد تربو على ٣٠٠ ، انتشرت فى ١٦٨ مدينة فى الولايات المتحدة ، وكندا ، والنرويج ، وجزر هاواى ..

وعلى الرغم من كل هذا التوفيق ، فان كارنيجى لم يتخل عن تواضعه وبساطته .. سئل مرة عن قرابته للمليونير الامريكى « كارنيجى » ، فأجاب : « ليس بيننا من رابطة سوى الاسم .. والظاهر أنه اسعد منى .. فقد جمع « كارنيجى » الآخر الملايين من نجاحه .. ويسعدنى أن أدفع الى الحياة الملايين من الموفقين .. اذا نجحت ! »

وشاء له تواضعه أن يتجاهل أنه هو الآخر صار الآن مليونيرا !

وسئل مرة من أين استمد تعاليمه ومبادئه ، فأجاب فى تواضع بانه لم يأت بجديد ، ولم يفعل أكثر من أن عمد الى تذكير الناس بالمبادىء والحكم القديمة .. واستطرد قائلا : « مثال ذلك اننى اعلم الناس كيف يتخلصون من القلق ، فهل تدرى ما الذى يخلصهم منه ؟.. اتباع حكمتين درج الناس على ترديدهما دون ان يفطنوا لما وراءهما من معان : « لا تعبر جسرا قبل أن تصل اليه » و « لا تبك على اللبن المراق » .. فما الجديد فى هذا ؟ »

كيف وضع هذا الكتاب ؟

◆ وعلى اثر نجاح كارنيجى فى معاهده ، شرع فى نشر رسالته – على نطاق واسع – بين الملايين من سكان المعمورة ، تعميما للفائدة .. فوضع تجاربه العملية فى سلسلة من الكتب التى لاقت رواجا عالميا فريدا فى بابه فى العصر الحديث ، واشهرها : « كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر فى الناس » ، « اقهر القلق وابدأ الحياة » ، «الخطابة والتأثير فى الناس فى محيط العمل» ، « لنكولن المجهول » .. ثم هذا الكتاب من سير العظماء الذى أقدمه لك اليوم ، والذى اتبع كارنيجى فى تاليفه طريقة فريدة ، فكان يكلف كل واحد من سكرتيريه الذين يعدون بالعشرات ، بأن يطالع كل ما كتب عن كليوباترة مثلا من كتب ومجلدات ، بجميع اللغات ، ثم يدون له فى صفحات معدودة أهم وأطرف ما أجمعت عليه المصادر من حقائق تاريخية عنها . ومن هذا التقرير يصوغ كارنيجى سيرة الشخصية التى يكتب عنها ، بأسلوبه الشائق . وهكذا تستطيع أن توقن أن الصفحات القليلة التى يتضمنها هذا الكتاب عن كل شخصية من المترجم لهم ، هى زبدة عشرات الكتب والمجلدات !

وقد بلغ من رواج كتب كارنيجى وكتاباته أنه يكتب الآن تعليقا يوميا قصيرا فى أكثر من سبعين صحيفة يومية بالولايات المتحدة .. فضلا عن عشرات المحاضرات التى يلقيها فى القاعات المختلفة وفى برامج الاذاعة ..

بيرون

حياته فى سطور

◆ شاعر عاطفى انجليزى مفرط الذكاء

◆ ولد فى لندن فى ٢٢ يناير سنة ١٧٨٨

◆ امتاز بجمال الطلعة وصفاء العينين ورخامة الصوت

◆ عندما بلغ العاشرة ورث لقب « لورد » من عم أبيه

◆ تلقى تعليمه فى كليات « دلويتش » و « هارو » ، و « ترينيتى »

◆ نشر ديوانه الاول « ساعات الكسل » وهو فى التاسعة عشرة .. ثم ديوانه الاشهر « الطفل هارولد » وهو فى الرابعة والعشرين .

◆ التقى بزميله الشاعر « شيللى » فى جنيف وصارا صديقين حميمين

◆ خلال السنوات التالية نشر عددا من دواوين الشعر والمسرحيات

◆ فى سنة ١٨٢٣ هز وجدانه كفاح اليونان ضد الاستعمار التركى ، فسافر الى اليونان حيث تطوع للقتال ولتنظيم حركة الاستقلال .. لكنه وهو فى الميدان اصيب بالحمى ومات فى ١٩ ابريل سنة ١٨٢٤

◆ اشتهر شعره فى فرنسا كما فى انجلترا سواء بسواء ، وكان ومايزال مصدر الوحى للكثيرين من شعراء فرنسا ورساميها .. « كتابى »

« فالنتينو » جداتنا !

◆ ترى كيف كان طراز العاشق المثالى منذ مائة عام ؟ أى نوع من الرجال كانت تخفق له قلوب جداتنا ، ويهتز له أجدادنا الجالسون بجوار المواقد برعدات الغيرة والتشكك ؟

ومن كان « دون جوان » و « فالنتينو» و «كلارك جيبل » تلك الايام الخوالى ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة غاية فى السهولة : فمنذ مائة عام لم يكن على وجه الارض ـ من وجهة نظر النساء ـ رجل آخر يستطيع أن يبارى فارس الاحلام « جورج جوردون ، لورد بيرون ! »

كان بيرون أعظم شعراء زمانه • وقد غير تأثيره اتجاه الادب في القرن التاسع عشر تغييرا كاملا • والشـــعر الرومانتيكى الذى تضمه دواويننا اليوم مدين بجانب من أعنف أبياته وأرقها لبيرون • **وقد أحب بيرون عشرات النســـاء ، ولكن أعجب غرامياته كانت قصة حبه لاخته غير الشـــقيقة ! وقد هزت فضيحة حبهما أوروبا كلها ودمرت حياة الفتاة • وقد كتب اليها بيرون بعد أن بوعد بينهما قصيدة من أجمل قصائده :**

لو أننى لقيتك ...
بعد أعوام طويلة
فترى كيف سأحييك ؟
سأحييك بالصمت والدموع ..

معبود نساء أوربا !

◆ **ولكن** عبادة النساء لبيرون كانت تزداد كلمـــا ازدادت سيرته سوءا ! لقد عبدنه فى جنون ، حتى أن نصف نســـاء أوروبا ألقين اللوم على زوجته ، عندما فارقته آخر الامر ، لانها لم تستطع أن تحتمل فظاظته أكثر مما احتملت ! وهؤلاء النساء ذاتهن ، أغرقن بيرون فى طوفان من القصائد ، والرســـائل الغرامية ، وخصلات شعرهن .. **بل لقد عمدت احدى شهيرات النبيلات الانجليزيات ، وكانت ارستقراطيـــة ثرية ، ذكية ، ونجمة متألقة ، افتتنت بها لندن فجثت عند قدميها الدقيقتين .. عمدت الى التنكر فى زى غلام ، ثم وقفت على قارعة الطريق ساعات طويلة تحت المطر المدرار ، انتظارا لبيرون ، العاشق المثالى ، عندما يشرق بطلعته وهو خارج من مقره المقدس !**

وقد جنت امرأة أخرى ببيرون غاية الجنون ، حتى لقد تبعته طوال الطريق من انجلترا الى ايطاليا ، ثم ضيقت عليه الخناق ٠٠ حتى استسلم لها آخر الامر !

ترى كيف كان هـذا المعشوق النموذجى الهائل ؟ هـذا « الفالنتينو » لقرن مضى من الزمان ؟ لقد كانت له قدم شوهاء. وكان يعرج عرجا قبيحا ، ولا يكف عن أن يقضم أظافره ،ويلوك التبغ فى فمه !٠٠ بل كان مشاغبا يكثر من التهديد الاجوف بمسدساته المحشوة فى رابعة النهار، وفى قلب « انجلترا القرن التاسع عشر » ، كأحد رجال العصابات فىشيكاغو ! وكان حاد المزاج٠٠ فلو حدق الناس فيه، لارتفع ضغط دمه عشرين درجة، لانه كان يخيل اليه أنهم يحدقون فىقدمه الشوهاء!٠٠ والشاعر الذى نودى به كأكمل « روميو » ، كان يلذ له أن يعذب النساء ٠٠ لم تكن قد انقضت على زفافه ساعتان حين صارح عروسه بأنه يكرهها ، وأنه ما تزوجها الا نكاية بها ، وانها ستعيش فى حسرة وندم على اليوم الذى رأته فيه أول مرة !٠٠ وقد حدث بالفعل ، فلم تستمر الروابط الزوجية بينهما سوى عام واحد. وقد توخى بيرون ألا يضربهـا قط ، ولكنه كان يحطم الاثاث ويأتى بعشيقاته الى البيت ! فانتهى الامر بزوجته الى أن دعت الاطباء ليقرروا ما اذا كان قد مسه الجنون ؟!

وقد أشاع عنه القرويون المقيمون على مقربة من الدير الكبير الذى اتخذه مسكنا ، مختلف الروايات : **قالوا ان خدمه جميعا ليسوا سوى فتيات فى ربيع العمر ٠٠ فتيات جميلات خفيفات الظل! كما رووا كيف كان يظهر هو وضيوفه فى هيئة الرهبـان ، مرتدين الملابس الكهنوتية السوداء الفضفاضة ، وهم غارقون فى سكرهم وعربدتهم ، التى اذا قيست بها مآدب عشاء الملك المتهتك « بلتشصر » لبدت الى جانبهـا أقرب الى الاجتماعات الدينية !٠٠ وفى تلك السهرات المـاجنة كانت الخادمات اللطيفات تقدمن النبيذ ، حيث يرتشفه بيرون وأصدقاؤه فى**

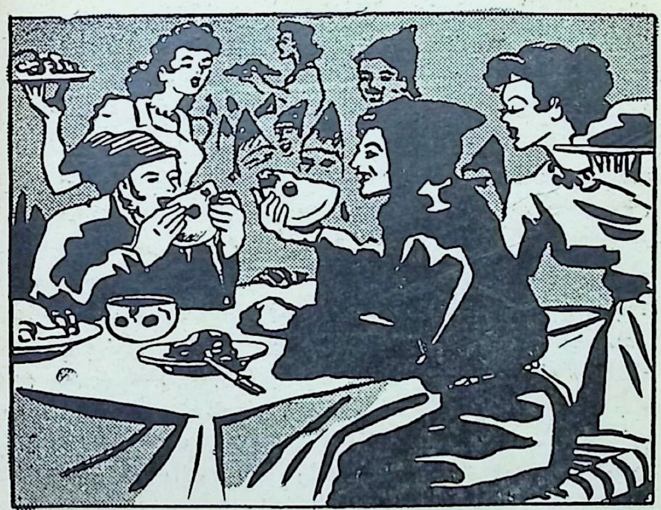

أوان من جماجم بشرية ٠٠ جماجم قد عولجت بالتنعيم والتلميع حتى صار لها من البريق ما للبدر فى سماء الصحراء ٠٠

يخوض معركة قاسية ٠٠ ليعجب النســاء !

◆ **وكان** الناس كثيرا ما يشبهون بيرون ، بقده الرشـيق وقامته الهيفاء ، بالاله «أبوللو»! وكانت بشرته ناصعة البياض ، حتى لقد رددت المعجبات به انه « يبدو كزهرية من المرمر مضاءة من داخلها ! » ٠٠ ولكنهن ما كن يدركن مدى العذاب الذى كان يعانيه بيرون لكى يبدو هكذا ٠٠ ما كن يعلمن أنه فى كل يوم من أيام حياته ، بل كل ساعة ، كان يخوض معركة منهكة مؤلمة لا تفتر ضد البدانة ٠٠ فهو لكى يظل رشيقا معشـوقا ، كان يخضع لنظام غذائى صارم لا يخطر ببـال نجوم هوليـوود أنفسهم !

فقد كان ـ مثلا ـ لا يتناول طوال يومه سوى وجبة واحدة، وهذه الوجبة الوحيدة كانت غالبـــا ما تقتصر على قليل من البطاطس أو الارز ، قد نثرت فوقه قطرات الخل • فاذا تاق الى التغيير ، فانه يتناول قبضة من (البقسماط) يتبعها باحتساء قدح من مياه الصودا • ولم تكن المعجزة انه كان يبدو « كالمرمر المضاء من داخله » ! وانما المعجزة انه لم يكن يبدو كهيكل عظمى لاحد الصينيين في اقليم دهمته المجاعة ! فانه لكى يدفع عن نفسه شبح البدانة البغيض ، أقبل على لعب السيف والملاكمة وركوب الخيل والسباحة •• وعلى ذكر السباحة فان هـــذا الرجل ، الذى كان أعظم شعراء جيله ، كان أكثر فخرا بعبوره مضيق الدردنيل سباحة ، من فخره بأشعاره الخالدة ! وعندما كان يلعب الكريكيت ، كان يرتدى سبعة أثواب معـا • ولكن الاثواب السبعة لم تكن تكفى لان يتصبب منه العرق الذى يذهب بالدهن ، ومن ثم فقد كان عليه أن يذهب ثلاث مرات كل اسبوع الى حمام تركى ، لكى يعالج جسده بالتطرية والتدليك !

مخزن أدوية •• أم عش غرام ؟

وقد كان النظام الغذائى العجيب الذى اتبعه سببا فى افساد هضمه تماما • ولذا كانت غرفة نومه تعبق برائحة العقاقير والادوية ، من حبوب وسوائل وتركيبات خاصة •• بحيث كانت أقرب الى أن تكون معملا لاحد الصيادلة منها الى عش غرام لاعظم عاشق عرفته الدنيا !

وكان يقض مضجع بيرون فى نومه كابوس مفزع ، حتى لجأ الى منومات الافيون • ولكن حتى منومات الافيون لم تنجح فى ايقاف احلامه المزعجة ، ولذا فقد احتفظ الى جوار فراشـــه بمسدسين محشوين • وفى هدأة الليل ، كان يصحو من نومه صارخا صائحا ، مصطك الاسنان ، ثم يذرع الغرفة طولا وعرضا وهو يلوح بالمسدسات والخناجر !

والدير القديم الذى كانت كوابيس الليل تدهم فيه اللورد بيرون ، كان مسكونا بأحد الاشباح ، لراهب كان يعيش فيه واختفى من عهد طويل ٠٠ وقد أقسم بيرون أن ذلك الطيف المتشح بالسواد كان يمر به خلال الدهليز بخطوات واسعة وهو يرمقه بعين ذات نظرة مدمرة ! وقد شاهد ذلك الطيف الرهيب قبيل زواجه المشئوم مباشرة ٠ وبعد سنوات ، فى ايطاليا ، أقسم بيرون انه رأى شبح الشاعر شيللى يسير فى احدى الغابات ٠٠ بينما كان شيللى فى تلك اللحظة على بعد أميال من المكان ٠ وكان بيرون يعلم هذا !

لعنة مشؤومة ٠٠ أم مصادفات ؟

ومما يدعو الى العجب ، أن شيللى قد مات فعلا بعد هذا بقليل — حيث أغرقته عاصفة هبت على احدى البحيرات — وان بيرون هو الذى بنى بيديه المحرقة الجنائزية ثم أحرق الجثة !

وثمة خرافة أخرى كانت تطارد عقل بيرون : فان عرافة من الغجر كانت قد أنذرته ذات يوم بأنه سيموت فى السابعة والثلاثين ٠ وقد مات بالفعل بعد عيد ميلاده السادس والثلاثين بثلاثة شهور ! وكان بيرون يؤمن بأن لعنة مشئومة قد حلت على أسرته جميعها ٠ وقد أقسم أن عيد الميلاد السادس والثلاثين نحس على كل من يتصلون به بصلة الدم ! وحتى الذين ترجموا لحياة اللورد بيرون من معاصرينا قد مالوا الى موافقته على هذا الرأى ٠٠ فقد توفى والده فى عامه السادس والثلاثين ، كما ماتت ابنة بيرون قبيل حلول عيد ميلادها السادس والثلاثين، بعد أن عاشت حياة تكاد تكون صورة طبق الاصل من حياة أبيهـــا !

اينشتاين

حياته فى سطور

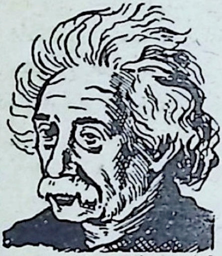

◆ ألبرت اينشتاين ، عالم المانى احدث انقلابا فى العلم بنظريته فى « النسبية »

◆ ولد فى « اولم » بالمانيا فى ١٤ مارس سنة ١٨٧٩

◆ عانى كثيرا فى صباه من قسوة مدرسيه بسبب « غبائه » !

◆ كما عانى من الاضطهاد العنصرى لليهود فى المانيا

◆ فى سنة ١٨٩٤ انتقلت اسرته الى ايطاليا ، اما هو فواصل دراسته فى سويسرا حتى حصل على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة (زيوريخ) ، ثم عين مدرسا للعلوم الرياضية والطبيعية فى مدرسة الالسن بزيوريخ

◆ تجنس بالجنسية السويسرية وعاش فى سويسرا من سنة ١٩٠٠ الى ١٩١٣ ، فيما عدا عام ١٩١١ الذى قضاه مدرسا للعلوم الطبيعية ببراغ (تشيكوسلوفاكيا)

◆ فى الاعوام التالية تلقى درجات فخرية من جامعات (جنيف) و (مانشستر) و (روستوك ، بروسيا) و (برنستون ، بامريكا) . وفى ١٩٢١ منح جائزة « نوبل » العلمية

◆ فى ١٩٣٣ حرمه هتلر من منصبه العلمى فى برلين ، فاختاره معهد برنستون الامريكى للابحاث استاذا به .. وفى اول اكتوبر ١٩٤٠ تجنس بالجنسية الامريكية

◆ تعتبر نظريته المشهورة فى « النسبية » حجر الزاوية الآن فى العلوم الطبيعية !

« كتابى »

نشأة لا تنبىء بتفوق !

◆ منذ سنوات قليلة مضت ، كنت أسير برفقة صديق فى شوارع مدينة صغيرة فى ألمانيا الجنوبية ، عندما استوقفنى صديقى فجأة مشيرا الى نافذة شقة صغيرة فوق محل بدال

وقال : « أترى هذه الشقة الصغيرة ؟ انها المكان الذى ولد فيه اينشتاين ! »

وفى ذلك اليوم تقابلت مع عم اينشتاين وتحدثت معه ، فلم ألمح عليه أية امارة تدل على أنه رجل يختلف عن غيره من سائر الناس • وليس هذا غريبا لان « اينشتاين » نفسه ، عندما كان صغيرا ، لم تكن تظهر عليه أية دلالة تنبىء عن ذكاء أو عبقرية أو تفوق ، مع أنه يعتبر الآن زعيم جبابرة العقول فى عصره ومن أعمق المفكرين في تاريخ العالم كله !

ومن بواعث الدهشة أنه منذ خمسين عاما خلت كان اينشتاين طفلا خجولا متأخرا فى مداركه ، يجد صعوبة كبيرة فى أن يتعلم كيف يتكلم ! وكانت تبدو عليه سيماء الغباوة والبلادة ، حتى لقد أطلق عليه المعلمون فيالمدرسة : «الغبى!»•• بل ان والديه كانا يعتقدان أن ادراكه أقل من المستوى الذى يجب أن يكون عليه من كان في مثل سنه ••

لذلك كان من دواعى دهشة اينشتاين أن يستيقظ يوما منذ سنوات قليلة مضت ، ليرى نفسه وقد أدرج اسمه بين أسماء أشهر علماء الارض !•• ويكاد يكون من الصعب أن نصدق أن أستاذا في الرياضة يصبح اسمه من ألمع الاسماء التى تحتل مكان الصدارة من صحف القارات الخمس جميعا •• والواقع أن اينشتاين نفسه يعترف بأنه لا يفهم سببا لكل هذه الشهرة ، كما يعجز الكثيرون عن ادراك سر ذيوع صيته الى هذا الحد الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الجنس البشرى !

زاهد فى الشهرة والترف !

◆ **ويبدو** اينشتاين فى تصرفاته الخاصة غريبا غرابة النظرية التى استحدثها وهى « نظرية النسبية » !•• فهو لايضمر غير الاحتقار لكل ما اعتاد الناسالتعلق به : كالشهرة ، والثراء ، والترف••الخ — **منذلكأنه كان ذاتمرة يعبرالاطلنطى**

على ظهر باخرة كبيرة ، فقدم له القبطان أكبر جناح فيهـــا ووضعه تحت تصرفه ٠٠ ولكن اينشتاين رفض عرض القبطان ، وفضل السفر فى أحقر غرفة فى قاع الباخرة على أن يقبل أية معاملة استثنائية خاصة !

ولما بلغ اينشتاين الخمسين من عمره أغرقته ألمانيا فى عيد ميلاده الخمسينى بألقاب التشريف ، وصنعت له تمثالا نصفيا أقامته فى « بوتسدام » ، كما أهدته منزلا ويختا بحـريا كعربون لحب أمته له واعجابها الخالد به ٠٠ ولكن لم تمض سنوات قليلة على ذلك حتى انتزعت منه أملاكه المذكورة وأصبح اينشتاين يخشى العودة الى وطنه وعشيرته !٠٠ بل لقـد قضى بضعة أسابيع فى بلجيكا خلف أبواب محكمة الرتاج والقضبان، والى جوار فراشه كان ينام أحد رجال البوليس كل ليـلة لحراسته !

ومن أبرز صفات اينشتاين زهـده فى الدعاية لنفسـه ؛ الى حد أنه حين وصل الى نيويورك ليتقلد منصب أسـتاذ الرياضة فى معهد الدراسات العليا فى « برنستون » كان كل ما يرجوه أن يتجنب مقابلة مخبرى الصحف أو التحـدث الى الصحفيين ، ويبتعد ما استطاع عن الضوضاء والناس ٠ ولذلك فقد حمله أصدقاؤه سرا من الباخرة التى كان يسـتقلها ـ قبل أن ترسو فى الميناء ـ الى زورق نقله على عجل الى السيارة التى انطلقت به قبل أن يضيق المستقبلون الخناق عليه !

تفسيره لنظرية النسبية

◆ **ويقول** اينشتاين ان هناك اثنى عشر شـخصا فقط من الاحياء استطاعوا فهم نظريته فى النسبية ، بالرغم من أنه قـد صدر فى شرح هذه النظرية ما يربو على تسعمائة كتاب !٠٠ وهو يشرح نظريته العميقة بهذه العبارة السهلة المبسطة فيقـول : « **انك اذا جلست الى فتاة جميلة لمدة ساعة فانه يخيل اليك أن**

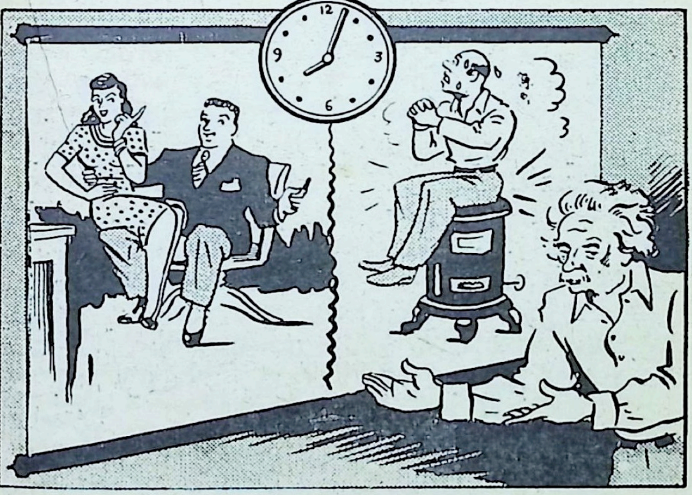

الساعة قد مرت كدقيقة .. ولكنك اذا جلست على موقد من الفحم المشتعل لمدة دقيقة فانه يخيل اليك أن الدقيقة قد مرت كساعة ! »

هذه هى « نظرية النسبية » .. وانني أراها بالنسبة لى نظرية معقولة للغاية . فاذا كنت تشك فى صدق أقوالى فما عليك الا أن تختبر ذلك بنفسك ، وعندئذ فسأكون سعيدا بأن أجلس أنا مدة ساعة الى الفتاة الجميلة ، وأدعك تجلس على موقد من الفحم المشتعل مدة دقيقة !

زوجته .. تروضه !

وعلى ذكر النساء ، فان اينشتاين تزوج مرتين . وقد رزق من زوجته الاولى بولدين تبدو عليهما سيماء الذكاء الوقاد والنبوغ .. وتعترف زوجة اينشتاين بأنها وان كانت لم تتوصل

ه

بعد الى فهم نظرية زوجها عن « النسبية » ، الا أنها قد تمكنت من فهم شيء هو أهم بكثير من هذه النظرية بالنسبة للزوجة : لقد أمكنها أن تفهم زوجها نفسه !٠٠ **وقد اعتادت أن تدعو بعض الاصدقاء الى تناول الشاى فى منزلها بين الحين والآخر ، فاذا طلبت من زوجها فى مثل هذه المناسبات أن يقابل المدعوين ، صاح فيها بعنف : « لن أقابل أحدا ! لن أقابل أحدا ! اننى ذاهب من هنا ٠٠ اننى لا أستطيع العمل فى هذا المكان ! ولن أتحمل بأى حال من الاحوال أن يقطع على أحد تفكيرى بعد الآن ! »**

ولكن « فراو اينشتاين » ، زوجة العالم الكبير ، تظل صامتة حتى تهدأ ثائرته ، وتخف سورة غضبه ٠٠ وعندئذ ، وبشيء من الكياسة و « الدبلوماسية » ، تنجح فى أن تقنع العالم النافر بالنزول من حجرته ومقابلة ضيوفها ، وتناول قدح من الشاى معهم ، وبذلك تعاونه على أن يتخفف بعض الوقت من عمله المرهق المتواصل !

وتقول زوجة اينشتاين ان زوجها مغرم بالنظام فى عمله وطريقه تفكيره ، ولكنه مع الاسف ليس مغرما بالنظام فى طريقة حياته ٠٠ فهو يعمل ما يشاء ، فى أى وقت يشاء !٠٠ وعنده قاعدتان ينصح الناس باتباعهما فى حياتهم الخاصة : الاولى هى أن لا يسير المرء على أية قاعدة كانت !٠٠ وأما القاعدة الثانية فهى أن يستقل الانسان دائما بآرائه عن آراء الآخرين ، فلا يتقيد بها ٠٠

بساطة ٠٠ أم شذوذ ؟

◆ **واينشتاين** يتوخى البساطة المطلقة فى حياته : فهو يخرج مرتديا ملابس قديمة كلها تجاعيد ، نظرا لعدم كيها ! وقلما يضع قبعة على رأسه ٠٠ ويحلو له الغناء والصفير وهو فى الحمام ٠٠ كما يحلق ذقنه وهو غائص فى الماء فى حوض

الاستحمام ٠٠ ولا يحب استعمال صابون خاص للحلاقة ، وانما يستعمل فيها الصابون العادى الذى يستعمله فى حمامه ٠٠ **فان هذا الرجل الذى يحاول فك طلاسم الوجود وحل عقد الكون المحيرة لا يتردد فى القول بأن استعمال الرجل لنوعين من الصابون ، واحد للحلاقة وآخر للحمام ٠٠ يزيد الحياة تعقيدا !**

وعندما رأيت اينشتاين كان التأثير الذى تركه فى نفسى هو أنه رجل فى غاية السعادة ٠٠ والواقع أن نظريته الفلسفية عن السعادة لتفوق عندى بمراحل نظريته عن « النسبية » ، لاننى أعتقد أنها فلسفة رائعة : فهو يقول انه سعيد لانه لا يريد شيئا من أحد ، ولا يحتاج الى أحد ٠٠ فهو لا يريد المال ، ولا الالقاب ، ولا الثناء والاطراء ٠ وهو يصنع سعادته ويكون عناصرها من أشياء غاية فى البساطة : عمله ، والعزف على الكمان ، والتنزه فى قاربه الصغير !

ويجد اينشتاين فى العزف على الكمان سعادة لا تعدلها سعادة أخرى فى الحياة ٠٠ فهو يقول انه دائم التفكير فى الموسيقى ، وانه يحلم بها فى يقظته ٠٠

ومن الطرائف التى تروى عنه أنه كان ذات مرة راكبا الترام فى برلين ، فأعطى (الكمسارى) قطعة من النقود ، فسلمه هذا التذكرة ورد اليه باقى نقوده ٠ فلما أحصى اينشتاين النقود راجع (الكمسارى) واتهمه بأنه لم يرد اليه الباقى مضبوطا !٠٠ فأعاد الرجل عد النقود وتبين انه لم يخطىء ! فسلمها الى اينشتاين ثانية قائلا : « ان الامر المتعب فيك هو جهلك المطبق بالارقام ! »

لينـــين

حياته فى ســطور

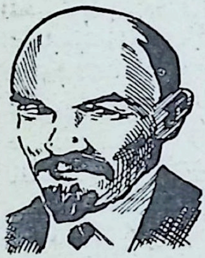

◆ « فلاديمير ايلتش اوليانوف » ، الـــذى عرف باسم « نيكولاى لينين » ، زعيم الثــورة الروسية

◆ ولد فى ١٠ ابريل سنة ١٨٧٠ من أسرة متوسطة

◆ كان نجاحه الباهر فى دراســته يبشر بمستقبل زاهر ، لولا ان اعدم اخوه الاكبر شنقا سنة ١٨٨٧ بتهمة انه «ثورى» ، فانضمت الاسرة كلهـــا الى الجماعات السرية المناهضــة للحكم القيصرى !

◆ طرد من جامعة (قازان) ومنع من الالتحاق باية جامعة ، حتى سمحت له جامعة بطرسبرج سنة ١٨٩١ بالانخراط فى سلك طلبة القانون بها

◆ مارس نشاطا ثوريا اضطره الى الفرار الى سويسرا ، وهناك التقى بزعماء ثوريين مكنوه من العودة الى روسيا لتحرير صحيفة العمال

◆ نفى الى سيبريا لمدة ثلاث سنوات ، واصل خلالها دراساته السياسية واتصالاته السرية برفاقه الذين كانوا يؤسسون الحزب الاشتراكى الديمقراطى

◆ عندما خلع القيصر سنة ١٩١٧ كان لينين فى زيوريخ بسـويسرا ، فسمحت له المانيا باختراق ارضها فى طريق عودته الى وطنه ٠ وكان يوم وصوله الى سان بطرسبرج فى ١٣ ابريل حدثا فاصلا فى التاريخ ، فقــد طالب اعوانه بعدم تاييد « المستضعفين المساومين » الذين خلعوا القيصر ، وبوجوب توليهم هم « البلاشفة » زمام الحكم ٠٠ ولم تمض ستة اشهر حتى دان له السلطان فاعلن انسحاب روسيا من الحرب العالمية

◆ فى سنة ١٩٢١ اصدر « النظام الاقتصادى الجديد » الذى كان آخر عمل ساهم به فى تنظيم روسيا السوفيتية ، ففى نهاية العام اصيب بالشلل الذى قضى عليه فى ٢١ يناير سنة ١٩٢٤ ٠٠ ثم حنط جثمانه ودفن فى ضريح بالميدان الاحمر بموسكو

« كتابى »

معبود شعبه .. وزوجته !

◆ **أريد** أن أقص عليك بعض الوقائع غير المعروفة عن رجل مات منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما ، ومع ذلك فان مدينة عدد سكانها ٧٠٠ ألف نسمة سميت باسمه تشريفا له ، ومائة مليون من الناس يعتبرونه راعيهم القديس !

كان اسم هذا الرجل « لينين » . وقد بدأ فى روسيا أعظم تجربة اقتصادية عرفها العالم .. تجربة لا بد وأن يكون لها تأثير عليك وعلى كل فرد آخر فى العالم تقريبا !

كان لينين قصير القامة ، أصلع الرأس ، متغضن الوجه ، وكانت قدماه من القصر بحيث لا تكادان تلمسان الارض اذا جلس على مقعد !.. ولم يكن يهتم بمظهره على الاطلاق ، وكانت سراويله عادة طويلة للغاية ، وأنفه مقوســـا قليلا الى أعلى ، وباحدى عينيه حول . ويغلب على الظن أنه لم يلبس فى حياته قبعة من الحرير أو سترة رسمية « ردنجوت » . وكان سعيدا فى زواجه ، وقد أحبته زوجته الى حد انها رفضت أن تتركه عندما نفى ، وعليه فقد رافقته الى منفاه لكى تسهر عليـــه وتعتنى به ..

وعندما أبعد الى سيبيريا كان عنده متسع كبير من الوقت مكنه من أن يحذق لعبة الشطرنج ويصبح خبيرا بها ، بحيث كان فى مقدوره أن يؤدى فيها عدة مباريات فى آن واحد . بل انه أولع باللعبة الى حد أنه صار يلعبها بالمراسلة مع أصدقائه الذين تفصله عنهم مسافات بعيدة !

الظروف التى جعلت منه ثائرا !

◆ **وقد** كان لينين فى حداثته طفلا جادا مكتئبا ، يندر أن يلعب مع أطفال آخرين ، بل انه لم يشترك فى مباريات رياضية قط . وعندما نما وأصبح رجلا لم يكن ليعير أى اهتمـــام

للموسيقى أو الشعر أو الدين ، ولكنه درس القانون وأتقن أربع لغات هى : الفرنسية والالمانية والروسية والانجليزية !

وقد شنقت الحكومة الروسية أخاه لانه كان يدبر مؤامرة لقتل القيصر الكسندر الثالث ، وبعدئذ نفت الحكومة لينين نفسه لآرائه المتطرفة ٠ واختاروا لمنفاه مدينة صغيرة فى سيبيريا المتجمدة ٠٠ وهناك رأى لينين بعينيه الفقر الشنيع الذى يرزح تحته الفلاحون الروس ، فقد كانوا من الفقر بحيث لم يكن فى مقدورهم أن يأكلوا اللحوم الا فى أيام الاعياد الدينية ٠٠ أو بتعبير آخر كانوا يأكلون اللحم نحو عشرين مرة فى العام فقط !

وأثناء المجاعة الكبرى التى حدثت فى عام ١٨٩١ ، وعندما مات الملايين من الفلاحين الروس المعوزين ، من الجوع والتيفوس والكوليرا ، أيقن لينين أن شيئا أساسيا يجب أن يعمل ٠٠ ومنذ ذلك الوقت أصبح ثوريا ملتهب النفس سخطا وحماسة !

يتنكر فى شكل امرأة !

◆ **وأثناء** الخمسة والعشرين عاما التى أعقبت ذلك التاريخ ، هام لينين على وجهه من بلد الى آخر ٠٠ وعاش فى أوقات مختلفة بين ألمانيا والنمسا وفرنسا وبولندا وسويسرا وانجلترا ٠ وأثناء اقامته فى انجلترا كان كثيرا ما يذهب ويجلس ساعات متوالية خاشعا بجوار قبر « كارل ماركس » أب الاشتراكية !

ولكى يتجنب الاعتقال كان يتجول متنكرا ، أحيانا فى زى فلاح ، أو بحار ، أو ساعى بريد ، وأحيانا أخرى فى زى امرأة! وكان يحمل فى أسفاره دائما حقيبة ذات قاع مسحور يحفظ فيها أوراقا سرية ووثائق اتهام ٠ وفى بعض الاحيان كان يدفن مستنداته السرية فى حديقة الخضروات بمنزله ويزرع فوقها البصل والكرنب! ٠٠ وقد ألف أحد كتبه الثورية وهو فى السجن، ولكى يتحاشى أن يضبط استعمل فى كتابته اللبن بدلا من الحبر ـ فلم تكن الكتابة تقرأ الا بعد نقع الورق فى الماء الساخن ! ـ

كما علم تلاميذه استعمال الحبر غير المنظور عند الكتابة اليه ٠٠ وحين كان يصله أحد هذه الخطابات غير المنظورة ، كان يطلب الى حارس السجن أن يأتيه بالشاى ٠٠ وعندئذ ، ما يكاد الحارس يدير ظهره حتى يغمس لينين الخطاب فى الماء الساخن ويقرأه !

الدكتاتور الزاهد

وفى نوفمبر سنة ١٩١٧ أصبح لينين دكتاتور روسيا ، وصادر جميع الملكيات الخاصة ٠٠ ففر أصحاب الملكيات الكبيرة مذعورين عندما استولى الفلاحون على أملاكهم ٠ ومزق هؤلاء قطعا نادرة جميلة من الابسطة وصنعوا منها أحذية !٠٠ كما أخذوا الاوانى التى لا تقدر بثمن والمصنوعة بأيدى أساتذة فن

الزخرفة الخزفية فى أوربا واستعملوها أوعية لحفظ الخل !

وكانت روسيا فى ذلك العهد جائعة تقريبا ، فكان لينين يرفض أن يضع سكرا فى الشاى الذى يشربه لان الآخرين لم يكونوا يستطيعون الحصول على السكر . ومع انه كان الحاكم المطلق لروسيا الا أنه لم يسمح لنفسه بأبسط أنواع الكماليات. وقد حكم روسيا دون موظفين من السكرتيرين . ويندر أن كان يملى خطابا ، وانما كان يكتب أكثر خطاباته بنفسه .. وكان يعمل من ثمانى عشرة الى عشرين ساعة فى اليوم !

يتفننون فى تخليد ذكراه !

◆ **وبعد** مضى خمس سنوات أخذ يشكو من مرض تصلب الشرايين ، ثم أصيب بالشلل ، وفقد القدرة على الكلام ، فكان عليه أن يتعلم كيف يتكلم من جديد كالطفل ! وقد شلت يده اليمنى فتعلم كيف يكتب بيده اليسرى . وظل يكافح الموت كفاح اليائس مدة عامين ، مكررا القول : « ان هناك أعمالا كثيرة جدا على أن أنجزها »

ان صورته معلقة اليوم فى كل بيت وكل مصنع وكل ناد للعمال فى جميع أنحاء روسيا .. ويضع الخبازون على الكعك رسما يشبهه .. ويزرع البستانيون زهورهم بطريقة تجعلها اذا تفتحت فانما تتفتح على شكل يشبه صورته !.. كما ينسج صانعو الابسطة صورته عليها .. وفي روسيا ملايين من الناس يعبدونه كما لو كان آلها ! ويتناقل الفلاحون الروايات عن معجزات عودته من قبره ليساعد العمال الذين تصادفهم المتاعب فى بعض الظروف !

ويرقد جدث لينين الآن محنطا فى وعاء من الزجاج ، ومن المرجح أن مئات من الحجاج يمرون فى اللحظة التى تقرأ فيها هذه السطور أمام جثمانه حاسرى الرؤوس ، فان ما يقرب من الالف نسمة يشرفونه بهذه الزيارة كل يوم .. وفى هذه اللحظة بالذات يقف الجنود الحمر بحرابهم يحرسون جثمان الرجل الذى كان رائد عهد جديد فى تاريخ العالم

ماركونى

حياته فى سطور

◆ جوليلمو ماركونى ، عالم ايطالى اخترع اللاسلكى ، ولد فى (بولونا) فى ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٤

◆ كان نجاحه الاول فى عام ١٨٩٥ حين اجرى اتصالا لاسلكيا لمسافة تزيد على الميل

◆ فى العام التالى اتصل من محطة انشاها فى (سبيزيا) بايطاليا ، بغواصة على بعد ١٢ ميلا فى عرض البحر !

◆ وفى ١٢ ديسمبر ١٩٠١ نجح ماركونى فى نقل الرسائل اللاسلكية عبر المحيط الاطلنطى

◆ وفى سنة ١٩٠٩ منح ماركونى جائزة نوبل فى العلوم ، كما منح جوائز اخرى فى انجلترا وامريكا ، وعينه ملك ايطاليا عضوا فى مجلس الشيوخ

◆ فى سنة ١٩٢٩ انعم عليه بلقب « مركيز » ، وفى ١٩٣١ عين عضوا فى اكاديمية الفاتيكان على اثر انشائه محطة راديو الفاتيكان

◆ مات فى روما فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٧

« كتـــــابى »

الرجل الذى أحدث تأثيرا فى حياتك !

◆ **لقد** كان من حسن حظى ، منذ سنوات قليلة مضت ، أن أقضى ساعة من الزمن مع رجل كان له تأثير عميق فى حياتك .. فقد غير العالم الذى تعيش فيه ، وجعل فى مقدورك أن تبعث برسالة حول العالم فى سبع ثانية ! كما جعل فى مقدورك أن تجلس فى منزلك وتدير زرا فى جهاز اللاسلكى الذى تقتنيه فتسمع الملك يتحـدث من قصر بكنجهام ، أو تسـتمع الى احدى الفرق الموسيقية الشهيرة وهى تعزف مثلا أنغام «الدانوب الازرق» الساحرة !

والاعتقاد السائد أن ماركونى ايطالى الجنسية. ولكن الحقيقة أن أباه فقط كان ايطاليا ، أما أمه فكانت ايرلندية، وكان منزلها فى لندن . وقد أكسب الدم الايرلندى ماركونى ذلك الشعر الخفيف والعينين الزرقاوين ، فكان يبدو أقرب كثيرا الى الانجليزى منه الى الايطالى . وكان يتكلم الانجليزية بطلاقة ولكن بلهجة « لندنية » خفيفة . كما كان يضع ـ على عادة بعض الانجليز ـ منظارا مفردا « مونوكل » على عينه اليسرى ، لانه فقد ـ مع الاسف ـ عينه اليمنى اثر حادث سيارة وقع له فى عام ١٩٢٧ .

وبينما كنت جالسا أتحدث الى هذا الرجل ، الهادىء الصوت، الوديع ، المتواضع ، كان من الصعب على أن أصدق أننى كنت فى حضرة رجل من أعظم الرجال الممتازين فى العالم !.. وكنت قد قرأت منذ سنوات ، وأنا بعد حدث صغير أعيش فى ولاية «ميسورى» ، عن عالم كبير، فى ايطاليا أيضا ، كان قد اكتشف التلغراف اللاسلكى ، وفى أحد أيام سنة ١٩٢٠ ذهبت مع « ليويل توماس » لتناول طعام الغداء فى مطعم من مطاعم لندن، حيث أمكننا سماع آلة التقاط جديدة قيل انها تسمى « جهازا لاسلكيا » .. والآن ، هذا هو يجلس أمامى ذلك الرجل العظيم الذى جعل هذه المعجزات ممكنة .. لقد خيل الى أنه حلم !

حافزه الاول على هذا الاتجاه

وقد سألته : كيف بدأ اهتمامه باجراء تجارب الراديو ؟ فأجاب بأن السبب الاكبر لاهتمامه انه وهو شاب صغير كان يحلم بعمل شىء يمكنه من السفر حول الارض .. وعندما كان يسافر مع أمه من ايطاليا لزيارة أهلها فى لندن ، كان يتطلع من نافذة القطار وهو ينهب أرض فرنسا ، فتتألق أمام عينيه الجبال المكسوة بالجليد ، والانهار المتدفقة ، والقصور الزاخرة بأقاصيص الحب والمناجاة .. ومنذ تلك المرحلة من صباه ولد

فيه حافز قوى وميل حقيقى للاسفار ٠٠ وقد شعر حين كبر بأنه ، باجرائه التجارب عن المـوجات الكهربائية ، وتكريس حياته لبحوث التلغراف اللاسلكى ، تسنح له فرصة للسفر ـ تحت ظل السماء ـ الى البلاد النائية ! ٠٠ وقال انه لم يكن من عادته أن يستطيع تركيز فكره فى العمـل وهو جالس بين جدران غرفة مكتب ضيقة ٠٠ **والواقع أن ماركونى أنجز أغلب أبحاثه على ظهر يخته الذى كان أشبه بمعمل عائم ٠ وقد بلغ من حبه للاسفار انه عبر الاطلنطى سبعا وثمانين مرة !**

وعندما كان ماركونى لم يزل حديث السن جدا ، أمكنه أن يبعث برسالة لاسلكية عبر الحجرة فى بيته ٠٠ ثم تمكن من ارسال رسائل الى مسافة ميلين ، فضاعف ذلك من حماسته٠٠ اما أبوه فقد صارحه بأنه انما يضيع وقته هباء !٠٠ ولكن بعد ذلك بسنين قليلة باع الشاب ماركونى امتياز بعض مخترعاته الى الحكومة البريطانية بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ (خمسين ألف) ليرة، فكان تأثير ذلك على أبيه بالغا ٠ وقد سألت السنيور ماركونى ماذا فعل بذلك المبلغ الاول الذى كسبه باجتهاده ، فقال لى انه ذهب واشترى بالمبلغ دراجة وبعدئذ عاد الى عمله كالمعتاد ٠٠ لان الحماسة التى كان يستشعرها وهو يقوم بتجاربه كانت أشد اغراء له من أى شىء يمكن شراؤه بالمال !

التجربة الحاسمة

◆ **وفى** سنة ١٩٠١ اعتقد ماركونى أن حلم حياته العظيم قد أصبح وشيك التحقيق ، فهرول يعبر المحيط الاطلنطى وكله أمل فى أن يتمكن من استلام رسائل لاسلكية وهو فى أمريكا، من محطة الارسال التى أعدها فى انجلترا !

وهناك عند شاطىء « نيوفوند لاند » أرسل فى الجو طائرة صغيرة من نوع الطائرات الورقية ، مصـــنوعة من الخيزران والحرير ، لتقوم بوظيفة الصارى (الايريال) ، ولكن الريح

مارکونی على ظهر يخته يجرى تجـاربه اللاسلكية التى كانت فاتحة عهد جديد فى تاريخ العالم !

مزقتها اربا !٠٠ وعندئذ أرسل فى الجو منطادا (بالون) ، ولكن الريح حطمت المنطاد وألقت به فى المحيـط ٠ وأخيرا تحصل على طائرة يمكنها أن تستقر فى الجو ، فلما ارتفعت فى الهواء بدأ يصيخ سمعه ٠٠ أصغى طيلة ساعات ، محتبس الانفاس ، ينتظر الاشارات التى كان مفروضـا وصولها من محطته الكائنة فى « كورنوول » ٠ ولكن شيئا لم يصل ٠ لم يكن هناك أدنى صوت ! فأصيب بخيبة أمل عنيفة ٠٠ اعتقد أن تجاربه قد فشلت ، وان حلم حياته العظيـم قد عصفت به الرياح !٠٠ **ولكن ، فجأة ، سمع « طقطقة » خافتة ، واخـرى بعدها ، وأخرى بعدها ٠ نعم ! هذه هى ! الاشارة المتفق عليها بعينها ، وكانت عبارة عن ثلاث علامات ترمز الى حرف « س » كالتي يستعملها عمال التلغراف فى حروفهم الابجدية اللاسلكية ٠٠**

اتقد ماركونى حماسة ، وعرف أن العمل الذى أتمه كان عظيما فى التاريخ! وتحرق شوقا للاندفاع خارجا واذاعة النبأ على أسطح المنازل ، ولكن هل يفعل ذلك ؟ لا . فقد خشى ألا يصدقه الناس . ومن ثم احتفظ بسره لنفسه مدة ثمانى وأربعين ساعة، وعندئذ استجمع شجاعته وأرسل الى لندن برقية بالحوادث التى جرت .. فكان لها دوى عظيم !

يهددونه بالقتل !

◆ **ونشرت** صحف القارات الخمس القصة ، فاستثارت غليان الاوساط العلمية العالمية . ان الانسان ينتصر مرة أخرى على الزمن والابعاد ، ويخطو على عتبة عهد جديد .. فقد ولد التلغراف اللاسلكى الذى قدر له أن يغير العالم بالنسبة لك ولى !

وكم كان عمر ماركونى عندما صنع كل هذا ؟ سبعة وعشرين عاما فقط ! وفى الحال بدأ يتسلم خطابات مرسلة اليه من أفاقين حاقدين ، يشكون فيها مر الشكوى لانهم تخيلوا أن الموجات الكهربائية ستمر خلال أجسامهم ، وستحطم أعصابهم، وتجعل من المستحيل عليهم أن يذوقوا طعم النوم !.. وبلغ الامر ببعض هؤلاء الافاقين أنهم هددوا بقتل ماركونى .. وأنذره أحدهم ، وكان ألمانيا ، بأنه قادم الى لندن لرميه بالرصاص !.. فحول ماركونى خطابه الى « سكوتلنديارد » فمنعته الحكومة من دخول البلاد !

وقد سألت السنيور ماركونى كم من الوقت سيمضى قبل أن ترى أنت وأنا أجهزة تليفزيون متقنة وعملية فى منازلنا .. فأجاب بأن هذا مرجح فى مدى عشر سنوات وربما أسرع من ذلك . وهذه الفترة قد انقضت كما نعلم ، ولم يحل دون تقدم هذا الاكتشاف تقدما أعظم ، الا سنوات الحرب الاخيرة فقط

الكسندر دوماس

حياته فى سطور

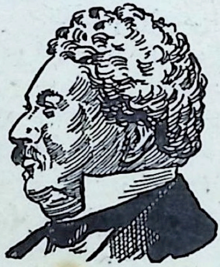

◆ الكسندر دوماس (الاب) ، روائى فرنسى ولد فى (ڤييه كوتريه) بفرنسا فى ٢٤ يوليه سنة ١٨٠٢

◆ بدأ يلفت اليه الانظار حين كتب مسرحية « هنرى الثالث » التى اطراها فيكتور هوجو ، ودرت على دوماس ٣٠ الف فرنك !

◆ على اثر نجاح قصته التاريخية الاولى عكف على كتابة تاريخ فرنسا فى شكل قصص ، وقد بلغت أجزاء هذا العمل الضخم نحو مائة مجلد !

◆ من أعظم رواياته الطويلة « الكونت دى مونت كريستو » و « الفرسان الثلاثة » .. اما رواياته المتوسطة الطول فاشهرها « الزنبقة السوداء »

◆ توفى فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٠ ، فى الثامنة والستين

« كتابى »

القصة التى خلدته !

◆ **ما هى** أعظم قصة مغامرات كتبت ؟ أهى « روبنسون كروزو » ؟ أم « دون كيشوت » ؟ أم « جزيرة الكنز » ؟ من الطبيعى أن تختلف الآراء ، ولكننى أعطى صوتى « للفرسان الثلاثة » !

فقصة الفرسان الثلاثة كانت من أكثر القصص رواجا لمدة تقرب من قرن من الزمان • ولعل جدتك فى شبابها قد انفعلت تأثرا بها عند رؤيتها على المسرح • فضلا عن أن مئات من الناس يقرأونها فى هذه اللحظة مترجمة الى اثنتى عشر لغة مختلفة فى أربعة أركان الارض !

والكسندر دوماس الذى كتب قصة الفرسان الثلاثة كان من أغرب القصصيين الذى غمسوا أقلامهم فى المحابر !

وكان يحب أن يزهو بأن له أكثر من ٥٠٠ طفل غير شرعى!•• ولئن قيل انه كان متفائلا أكثر من الواقع فى تقديره ، فان الذى لا شك فيه انه بالرغم من بدانته وقبح مظهره فقد كانت له مع النساء غزوات وغزوات !•• لكنه فى جميع غزواته كان يحرص على المباهاة فى كل مناسبة بأنه لن يتزوج قط ! •• ويبدو انه غالى فى زهوه ذات مرة الى الحد الذى جعل احدى معشوقاته تتحداه : فقد جعلت الوصى عليها يشترى جميع ديون الكسندر بثمن زهيد • وفى تلك الايام كان فى وسع الدائن ان يزج بمدينه فى السجن سدادا لديونه •• وهكذا فوجىء دوماس ذات يوم بمن يحيطه علما ـ فى أدب ـ بأن عليه ان يختار بين الزواج أو •• السجن !•• فتزوج !

جدته زنجية !

◆ **وحتى** فى شكله كان دوماس يبدو غريبا •• فان ثلاثة أرباع فقط من دمه الذى يجرى فى عروقه كان دما أبيض ، أما الربع الباقى فكان دم عبيد !•• فقد كانت جدته لامه ـ « مارى دوماس » ـ جارية زنجية فى مزرعة لقصب السكر فى جزر الهند الغربية •• وكانت فقيرة وغير متعلمة ، عاشت وماتت مغمورة فى ظلام دامس ، دون أن يجول بخاطرها أن حفيدها سيكون موضع تكريم الامراء والشعراء وأرباب الثراء ، وانه سيجعل اسمها ذائعا فى جميع أنحاء العالم !

وكان الكسندر دوماس يشبه جدته الزنجية كثيرا ٠٠ فبرغم بشرته البيضاء كالثلج ، وعينيه اللتين فى زرقة سماء الهند الغربية ، فان شفتيه كانتا غليظتين ، وأنفه كبيرا منبعجا ، وشعره ـ برغم صفرته الشديدة ـ كثا ملتفا (أكرت) مثل شعر جدته الزنجية العجوز !

اكول نهم ٠٠ وذو نزوات !

◆ **وكان** دوماس شرها يحب الاكل الجيد ، وكانت شهرته بكفاءته فى خلط « الصلصة » أو شى بطة ، كشهرته فى كتابة القصة !٠٠ كان فى مقدوره أن يستهلك فى وجبة عددا من الاطعمة المختلفة المحتوية على اللحوم والكافيار ، مع ستة أنواع من الخضروات يختتمها جميعا بكميات كبيرة من الجبن ! أى كان يمكنه أن يأكل فى وجبة واحدة ما يزرى بما كان يأكله بسمارك ٠ ومع ذلك ، فبالرغم من نهمه لم يكن يشرب خمرا ، أو قهوة ، أو يدخن على الاطلاق ٠٠ واذا كان منهمكا فى الكتابة فانه لم يكن يأبه للطعام ٠ بل كان أحيانا ينسى أن يأكل على الاطلاق ! فاذا ذهب أحد الاصدقاء لزيارته وهو مشغول بالكتابة فانه كان يكتفى برفع يده اليسرى بالتحية ويستمر فى الكتابة بيده اليمنى !

ولكن كان له مزاج مرهف الى ابعد حد فى نوع الورق والاقلام التى يستعملها : فمثلا كان لا يكتب القصص الا على ورق ازرق فقط ، وبنوع خاص من الاقلام ٠ فاذا كان يكتب شعرا استعمل ورقا أصفر ونوعا آخر من الاقلام ٠ واذا كتب مقالا لجريدة لم يكن فى استطاعته أن يستعمل سوى ورق الكتابة الوردى اللون ٠٠ الخ ـ ومهما كانت الظروف فانه لم يستعمل الحبر الازرق مطلقا ، فقد كان يصيبه بدوار ! ولم يكن يستطيع ان يؤلف مسرحية وهو جالس الى مكتبه ٠ فلكى يكتب مسرحية كان عليه أن يضطجع على كنبة وتحت مرفقه وسادة لينة جميلة !

نزوات مضحكة ولا شك ٠٠ ولكن قبل أن نضحك منه دعنى أخبرك بما أنتج من مؤلفات : فقد كتب أكثر من مائة مسرحية ! وكانت قصصه من الكثرة بحيث أن الطبعة التى ضمت مؤلفاته جميعها تحتوى اليوم على ١٢٠٠ مجلد ٠ تأمل هذا ! ألف ومائتا مجلد ! ان هذا على وجه التقريب ضعف جميع مؤلفات جون جالزورثى ، وجورج برنارد شو ، وروبرت لويس ستيفنسون، و هـ٠ج٠ ويلز ، و رديارد كبلنج ، و مارى روبرتس رينهارت ، وزان جراى ٠٠ ضعفها مجتمعة !

يربح من قصصه مليون جنيه !

◆ وقد ربح دوماس ما يزيد على المليون جنيه ــ أى أكثر بكثير جدا من أى كاتب فى عصره ! وفى الحقيقة أن قليلين جدا من الكتاب فى التاريخ كله تمكنوا من الوصول الى هذا الرقم القياسى ــ ومع ذلك فقد كان من الفقر ، عندما مثلت أولى مسرحياته ، الى حد أنه لم يكن يملك (ياقة) يلبسها ليذهب الى المسرح ٠٠ فصنع له ياقة بأن أخذ قطعة من ملاءة بيضاء ولبسها ، فى تلك المناسبة التى كانت من أهم مناسبات حياته !

وقد كان هذا الرجل الجبار ، الاشعث الهندام ، يعبد أمه٠ وقبل ان تمثل اولى مسرحياته بثلاثة ايام فقط أصيبت أمه بشلل ، فاذا به فى ليلة العرض الاولى التى سجلت أول انتصار له فى باريس ، يهرع خارجا من المسرح فى آخر كل فصل من المسرحية ، ويعدو بأقصى سرعة تستطيعها ساقاه الطويلتان ، الى حيث رقدت أمه ٠٠ ليرى اذا كانت فى حاجة الى شىء ٠ وفى تلك الليلة التى كانت فيها باريس كلها تتغنى باسمه، نام على حشية وضعت على الارض عند قاعدة فراش أمه المريضة !

وكانت شخصيات كتب دوماس تبدو له حقائق مجسمة٠٠ فكان يحلم بها ، ويثرثر عنها ، كما لو كانت لاشخاص أحياء ! وقد كتب عنها بتوسع يستحوذ على كل مشاعرك ٠ وكان

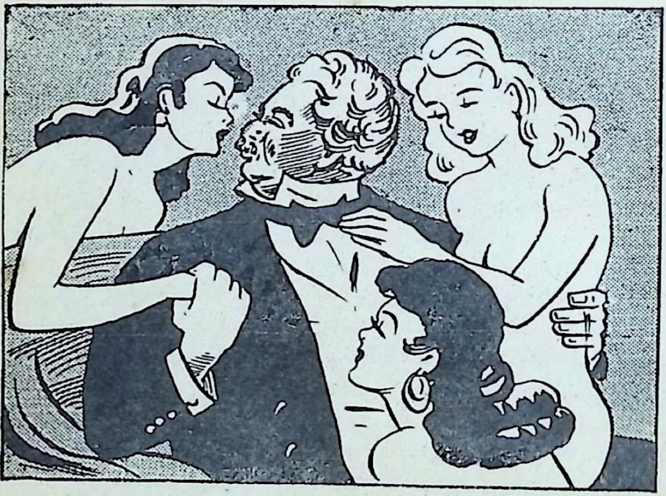

يستغرق أحيانا فى قصته استغراقا تاما فيضج بالضحك والنكات مع شخصيات رواياته كما لو كانت أشخاصا حقيقية تجلس أمام مكتبه فعلا . وأغلب القصصيين يرون فى الكتابة عملية « طحن » فظيعة .. ولكن دوماس كان « يستمتع » بالوقت الذى يصرفه فى نسج خيوط قصصه المحبوكة !

وقد حبته الطبيعة بنشاط الملاكم « جاك دمبسى » ، فطاف حول أوربا بسيارة أجرة وعلى ظهر جواد ! وكان يكتب أحيانا خمس روايات فى وقت واحد ، تظهر يوما بعد يوم فى الصحف على حلقات متتابعة . ولم يكن عنده وقت ليقرأ قصصه، ولكن كان **يملك الوقت للمبارزة عشرين مرة بالسيف أو المسدس !**

زير نساء !

◆ **وعندما** تقدمت به السن ، أولع بالخمر ، والنساء ، والاغانى . لا ! لا ! اننى مخطىء : فهو لم يشرب الخمر ، ولم يغن ، ولكنه أغرم بالنساء الى حد كبير !

واذا كانت باريس تمتاز بميزة ، فهى سعة عقل أهلها ..ومع ذلك فان مغامرات دوماس الغرامية كانت « حدثا » مشهورا ، وصارت فضيحة حتى فى باريس .. حتى لقد انتهى الامر بأن أعرض عنه ابنه ذاته مشمئزا !

.. بل لقد ذهب صديق لزيارة القصصى الكبير فى عصر أحد الايام ، فوجده يكاد يختنق بين عشيقاته : فقد كانت احداهن جالسة على ركبته ، وأخرى عند قدميه ، وثالثة واقفة خلف مقعده وقد انحنت لتقبل شفتيه الغليظتين .. ولم يكن ثلاثتهن جميعا يلبسن من الملابس ما يكفى لعمل لباس بحر محترم لعصفور صغير !

وعندما استنزفت الباحثات عن الذهب كل أمواله ، هجرنه فى استخفاف وازدراء .. فقضى دوماس شيخوخته فى فقر ووحدة واهمال .. حتى لقد اضطر الى أن يرهن جواهره ومعطفه ليدفع ايجار المنزل . ولو لم يدفع له ابنه حساب البدال لتضور جوعا ! وقبل أن يموت بوقت قصير رآه ابنه يقرأ نسخة من الفرسان الثلاثة ، فسأله : « ما رأيك فيها يا أبى » ؟ فأجاب الرجل المسن : « لا بأس بها .. انها جيدة »

جيدة ؟ نعم ، وأنا أيضا أقول أنها جيدة .. فاذا أردت أن تختبر ذلك بنفسك فتناول قصة الفرسان الثلاثة واقرأها ثانية .. لقد كتبت ملايين القصص منذ ظهور هذه القصة ، ولكنها اضمحلت جميعا وجر النسيان عليها ذيوله واندثرت ، أما قصة الفرسان الثلاثة فخالدة . **والى مئات قادمة من السنين سوف يجلس أولاد أولاد أولاد أولادك يقرأونها بشغف اذا ما جن الليل ..**

غانــدى

حياته فى سطور

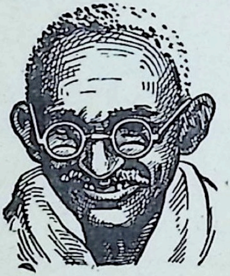

◆ « موهنداس كارامشاند غاندى » ، نبى الهند العظيم ، ومن المع شخصيــات التاريخ الحديث

◆ ولد فى (بورباندار) بالهند فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٩ ، ونشــأ فى وسط مشبع بكراهية الانجليز ، وان درس القانون فى لندن وتخرج منها محاميا

◆ ذهب الى جنوب افريقيا فى احدى القضايا - وهو فى الثالثة والعشرين - فقضى عشرين عاما يجاهد لتحســين حال الهنود المضطهدين هناك

◆ عاد الى الهند فى سنة ١٩١٤ فنزل عن كل ما يملك ، وقنــع بوشاح من القماش المحلى يغزله بيده ليستر جسده • ثم قاد حركــة التحرر الاقتصادى والسياسى لبلاده •

◆ انتهج سياســة العصيان المدنى والمقاومة السلبية ، ودعا لانصاف المنبوذين ، والقضاء على الخلافات الدينية بين المسلمين والهندوس

◆ اغتيل فى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ بعد صيام لجا اليــه لحمــل المسلمين والهندوس على الوئام •

« **كتابى** »

الاعزل الجبار !

◆ **هناك** فى الهند كان يوجد رجل صغير الحجم ، أســمر اللون ، يتدثر بملابس فضفاضة ، ويرقد على سرير صــغير ، ويرفض أن يأكل ، ويهدد بالصيام حتى الموت !

واذا قدرناه بحساب المال ، كان غاندى رجلا فقيــرا •• فلو باع كل ما يملك فلن تساوى قيمته ثلاثة جنيهات • ولكنه كان أقوى من أى مليونير على الارض !

ومن الناحية الجسمانية ، كان ضعيف البنيـــــة ، يرفض استعمال القـــوة والعنف ٠٠ ومع ذلك فان تعاليمه وتأثيره الروحى ، كانت أعظم بطشا وقوة من مائة معركة فى ميـــادين القتال !

ان سكان الهنـــد يبلغون سدس أهل الارض جميعا ، ومع ذلك فقد ظل الهنود عدة قرون نائمين غافلين٠٠ثم اذا بذلك الرجل الهزيل ، الذى كان وزنه أقل من مائة رطـــل ، يوقظهم من سباتهم ، ويوجه مداركهم الى مايكمن فيهـــم من قوة جبارة !

وهناك أمور كثيرة غريبة تروى عن غاندى ، فمثلا كان عنده « طاقم » من الاسنان الصناعية كان يحمله معه فى احدى ثنايا ثيابه ، ويضعه فى فمه عندما يريد أن يأكل فقط ! وبعد فراغه من الاكل ينزع الطاقم من فمه ، ويغسله ، ثم يعيده الى مكانه فى ثنية ملابسه ٠٠

وكان يتكلم الانجليزية بلهجة ايرلندية ، لان أحد مدرسيه الاوائل كان ايرلنديا ، ولا يلبس الاالملابس الفضفاضة المتواضعة ٠٠ لكنه فى فترة من الفترات عاش فى لندن عدة ســـنوات يلبس قبعة من حرير ، ويغطى حذاءه بغطاء من الصـــوف (جيتر) ويمسك بعصا !

« طوبى لصانعى السلام »

وقد تلقى غاندى دراسته العليا فى جامعة لندن وصار من رجال القانون ، ولكنه فى أول مرة حاول فيها المرافعة فىساحة المحكمة ارتعدت ركبتاه ، وارتجف الى حـــد أنه اضطـــر الى الجلوس من شدة الارتباك والتلعثم !٠٠ والواقع أن التوفيـــق لم يحالفه حين مارس المحاماة فى لندن ، فكان فاشلا فى حيـــاته العملية فى تلك المرحلة من شبابه ٠٠

وعندما جاء الى انجلترا لاول مرة ، قبل ذلك بسنين ، جعله مدرسه الايرلندى ينسخ « موعظة المسيح على الجبل » عـــدة

مرات ، كتمرين فى اللغة الانجليزية ليس غير ٠٠ فأخذ غاندى يكتب ويعيد ، ساعة بعد ساعة ، هذه الآيات : « طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض ٠٠ طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون » ٠٠ الخ ـ فأحدثت هذه الكلمات أثرا عميقا فى نفسه

ثم أرسل يوما الى جنوب افريقيا ليحصل ديونا ضخمة ، فحاول أن يطبق هناك فلسفة الموعظة على الجبل ! وقد نجحت التجربة ٠٠ وتدفق المتقاضون على المهاتما غاندى لانه كان يفض منازعاتهم بالطرق الودية خارج المحكمة ، فيوفر بذلك عليهم الوقت والمال ٠٠ وسرعان ما أصبح دخل غاندى ثلاثة آلاف جنيه فى العام ٠ وهكذا « ورث الودعاء الارض » !

ولكن هل كان غاندى سعيدا بنجاحه ودخله الكبير ؟ كلا ! لانه كان يعلم بأن الملايين من بنى وطنه يعيشون فى فاقة ٠ وقد

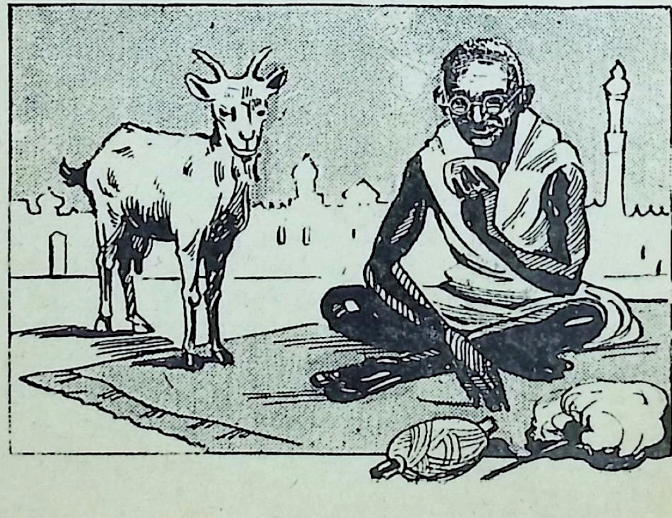

رأى آلافا منهم يموتون من الجوع ، فظهر له اقبال الدنيا عليه رخيصا وعديم الاهمية ٠٠ فما كان منه الا أن تنازل عن كل أمواله ، ونذر نفسه للفقر !٠٠ ومنذ ذلك الوقت كرس حيـاته لمساعدة الفقراء والمعوزين ٠٠

ان عشر سكان الهند اليوم نصف أموات من الجوع ٠٠ وقد كانوا فى موقف ميئوس منه ، حتى ان غاندى حاول اقناعهم بوقف التناسل فى عالم مفعم بكل هذه التعاسة والفاقة !٠٠ وقد راض غاندى نفسه على الجوع ليرى كيف يمكنه أن يعيش فى صحة جيدة وبأقل النفقات ، فكان غذاؤه الرئيسى هـو الفاكهة ولبن الماعز وزيت الزيتون !

كيف نبتت فى ذهنه فكرة العصيان المدنى !

◆ **وقد** تأثر غاندى تأثرا عظيما بتعاليم أحـد الامريكيين ويدعى « دافيد ثورو » ٠ وكان « ثورو » قد تخرج من جامعـة (هارفارد) منذ مائة عام ، وأنفق خمسة جنيهـات فى اقامة « كوخ » لنفسه على شاطىء (وولدن بوند) المنعزل فى ولاية (ماساشوستس) ٠ وهناك عاش متنسكا ، ورفض أن يدفع الضرائب ، فزج به فى غياهب السجن ! وعندئذ وضـع كتابا عن « العصيان المدنى » قال فيه ان أحدا لا يستطيع ارغام أى فرد على دفع الضرائب !٠٠ ولم يعر الناس كتابه أقل التفات ، **ولكن غاندى قرأ الكتاب وهو فى الهند بعـد ذلك بخمسة وسبعين عاما وقرر أن يستخدم أساليب « ثورو » ٠٠ وكانت انجلترا لم تبر بوعدها بشأن منح الهند الحكم الذاتى ، فعمـد غاندى ـ كى يعاقب انجلترا ـ الى تحريض سكان الهنـد على الامتناع عن دفع الضرائب ، ولو أدى بهـم ذلك الى غياهب السجون ٠٠ كما حرض أتباعه على مقاطعة البضائع الانجليزية ٠ وعندما فرض الانجليز ضريبة على الملح قاد غاندى أتبـاعه الى البحر حيث كانوا يستخرجون الملح بأنفسهم !**

وكان في الهند نحو ٦٠ مليونا من السكان موصـومين ،

حسب الديانة الهندوكية ، بوصمة الرجس الذى يحرم على أحد لمسهم (المنبوذين) ٠٠ فما معنى هذا ؟ لكى تفهم معناه اتخذ نفسك مثلا ، وافرض أنك تعيش فى الهند ، وان أجدادك منذ ألفى عام كانوا من المنبوذين المحرم لمسهم وفقا للديانة الهندوكية ٠٠ فان هذا يعنى أنك أنت أيضا منبوذ محرّم لمسك اليوم ! ويصبح محكوما عليك بأن تتعذب لاجل آثام ارتكبتها روحك فى حياة سابقة ، فلا يسمح لك مثلا بأن تشرب من ماء بئر فى القرية ، بل يتعين عليك أن تذهب وتشرب من ماء بعض الجداول الجانبية القذرة ! ولا يقتصر الامر على ذلك بل ان النفوس تعافك حتى لا تجرؤ على دخول حانوت بدال ، وانما يصبح عليك أن تقف فى الخارج وعلى مسافة كبيرة ، كى يقذف اليك بالطعام من بعيد !

بشاعة اضطهاد المنبوذين !

بل انك اذا اعتبرت منبوذا لا تستطيع أن تدخل الى حرم محكمة ، أو تنخرط فى مدرسة ٠٠ ولا يمكنك حتى السير على قدميك الا على مسافة خمسمائة قدم من الطريق العام ! واذا حدث أن سقط ظلك على الطعام فان الطعام يعتبر نجسا غير صالح للاكل ويجب أن يعدم !

تصور أن فى الهند ٦٠ مليونا من هؤلاء المنبوذين ٠٠ وانهم كانوا يحيون فى أرهب وأتعس ظروف ممكنة فى العالم ٠ وقد كرس غاندى حياته للدفاع عن حقوقهم ، حتى لقد تبنى بنتا صغيرة من المنبوذين (المحرم لمسهم) ورباها على أنها ابنته !

ان ملايين من البشر تطلعوا الى غاندى على أنه قديس ٠٠ وآخرين اعتقدوا أنه آله هندى متجسد ٠٠ ففى عالم مملوء بالجشع والحقارة والانانية ، لم يطلب هذا الرجل لنفسه شيئا ٠٠ بل انه أراد أن يموت ليتمكن الآخرون من الحياة !

وقد كان له ما أراد ٠ ومات غاندى ٠٠ ولكن الله أراد له الخلود فأماته ميتة الشهداء !

هيلين كيلر

حياتها فى سطور

◆ « هيلين أدامز كيلر » مؤلفة وباحثة اجتماعية امريكية

◆ ولدت فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٠

◆ احدى اثنتى عشر امرأة وصلن الى مصاف الزعامة فى امريكا خلال المائة عام الاخيرة !

◆ عرفت بقوة جلدها وعزيمتها ، حتى لقد تغلبت على العمى والصمم والبكم التى اصيبت بها وهى فى الثالثة من عمرها اثر حمى مخية عنيفة

◆ استطاعت ان تقاوم عقدة لسانها وان تتكلم رغم اخفاق الطب من قبل فى علاجها .

◆ كرست حياتها لدراسة مشكلات مكفوفى البصر ومعاونتهم على تحقيق حياة مثمرة لهم وللمجتمع . وهى تستعين بالتاليف على كسب المال للمضى فى رسالتها .

◆ قامت برحلات عديدة فى اوربا والشرق ، وزارت مصر فى سنة ١٩٥٢ فاستقبلت من جميع الهيئات بما يليق بشخصيتها ..

« كتابى »

المعجزة البشرية !

◆ **قال** الكاتب الامريكى الفكه « مارك توين » ذات مرة : « ان أدعى الشخصيات الى الاعجاب والاهتمام فى القرن التاسع عشر كله شخصيتان : نابليون ، وهيلين كيلر ! »

وهيلين كيلر هى المرأة العمياء الصماء البكماء ، التى أثبتت أنها ـ برغم عاهاتها الثلاث الرئيسية ـ أنفع للانسانية من كثير من البشر !

وقد قال مارك توين عبارته المذكورة يوم أن كانت هيلين كيلر لا تعدو الخامسة عشر من عمرها ·· وهى ما تزال حية ترزق الى اليوم وقد نيفت على الثمانين ، احتفظت خلالها بمكانتها ·· فهى فى الواقع من أعجب شخصيات القرن العشرين ، كما كانت من أعجب شخصيات القرن التاسع عشر !

وهيلين كيلر عمياء تماما ، ولكنها قرأت مع ذلك من الكتب أكثر بكثير مما استطاع كثير من المبصرين أن يقرأوا ! ولعلها قرأت مائة ضعف ما قرأه الرجل العادى المتوسط ·· بل انها « ألفت » سبعة كتب ، كما ألفت فيلما سينمائيا عن حياتها ومثلت فيه !

وهيلين كيلر صماء تماما مثلما هى عمياء تماما ، ومع ذلك فهى تستمتع من الموسيقى بما يفوق حظ الكثيرين من ذوى الآذان السليمة ··!

وقد سلخت من عمرها تسع سنوات وهى بكماء لا تنطق حرفا !·· ومع هذا ألقت محاضرات فى كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية ، وطافت بجميع بلاد أوربا وبعض بلاد افريقيا

كتلة من اللحم ·· بلا حواس !

◆ **وعندما** ولدت هيلين كيلر ، كانت طفلة عادية من كل وجه ·· فلما صار لها من العمر سنة ونصف ـ (كانت خلالها تسمع وترى ، وتوشك أن تتكلم) ـ حل بها مرض أصابها بالصمم المفاجىء ، وبالبكم ، والعمى ، حتى صارت عبارة عن كتلة من اللحم الحى ·· مجردة من كل حواس انسانية !

ثم أخذت تنمو وتكبر وكأنها حيوان متوحش فى غابة ·· فهى تحطم كل شىء لا يروق لها ، وتحشر الطعام فى فمها بيديها كلتيهما ·· واذا حاول أحد أن يردها عن ذلك ، انطرحت على الارض وراحت ترفس وتضرب الارض محاولة أن تصرخ ، ولكنها لا تستطيع !

وكتب والداها تحت تأثير يأسهما المفجع الى معهد « بيركنز» للعميان فى مدينة بوسطن ، ملتمسين ارسال معلمة خاصة لابنتهما ·· وهكذا دخلت « آن مانسفيلد سوليفان » فى حياة هيلين كيلر وكأنها ملك كريم صور من نور وأمل · وكانت آن فى ذلك الوقت لا تعدو العشرين من عمرها حين شرعت فى تلك المهمة العسيرة التى بدت مستحيلة ! وهل هناك أشق من تعليم تلميذة عمياء ، بكماء ، صماء ؟ وبواسطة أى الحواس اذن تصل الى تعليمها ، والى عقد الصلة بينها وبين العالم الخارجى ؟

لكن « آن » كانت كبيرة القلب ، صقلتها التجارب المرة ·· فهى فتاة يتيمة ، دخلت مع أخيها ملجأ الايتام فى « تيوكسبرى» بولاية « ماساشوستس »· ولم يكن لهما مكان ، فكانا يبيتان فى غرفة الموتى ، وهى غرفة يوضع فيها من يموتون ريثما يحل ميعاد دفنهم ! ولم يتحمل شقيقها هذه الحياة فقضى نحبه بعد ستة أشهر ·· أما هى فأوشكت على العمى فى سن الرابعة عشرة ، فأرسلت الى معهد بيركنز فى بوسطن كى تتعلم القراءة بأصابعها ، بيد أن القضاء لطف بها فتحسن بصرها، ولم يصبها العمى الا بعد ذلك بنصف قرن من الزمن !

« الملاك » الذى أرسله اليها الله !

◆ **وليس** فى الامكان شرح المعجزة التى أحدثتها « آن » فى حياة هيلين كيلر ، فان ذلك كان عملا خارقا للعادة ·· لم يسبق له مثيل ·· وقد فصلته هيلين كيلر نفسها فى كتابها عن نفسها الذى سمته « قصة حياتى » · **ومن يقرأ هذا الكتاب، ير مبلغ السعادة التى شعرت بها هيلين فى أول مرة حين اكتشفت أن هناك لغة انسانية يمكنها أن تتفاهم بها مع الناس! ومن تلك اللحظة بدأت تحب الحياة ، وتتلهف فى نهاية كل يوم على مطلع اليوم الجديد الذى يليه ··**

فلما بلغت هيلين العشرين من عمرها كان تعليمها قد تقدم جدا ، فدخلت ومعها معلمتها كلية « رادكليف » · وفى هذه

الاثناء استعادت ملكة الكلام ، وكانت أول جملة نطقتها :

ـ أنا لم أعد خرساء !

وهى الآن تتكلم كلاما عاديا ، لا تشوبه الا شبه لكنة أجنبية ظريفة . وهى تكتب كتبها ومقالاتها للصحف على آلة كاتبة بحروف « برايل » أو النقط البارزة . واذا ما أرادت أن تصحح بعض الخطأ على الهامش ، استخدمت دبوس شعرها فى احداث بعض الثقوب على الورق !

تبديد خرافة عن العميان !

◆ **وتعيش** هيلين في ضاحية « فورست هيل » قرب مدينة نيويورك . ولا يبعد منزلى عن مكان سكناها سوى مسافة قصيرة ، وكثيرا ما رأيتها ـ أثناء تنزهى مع كلبى الصغير ـ تتمشى فى حديقة بيتها مع كلبها الذى تقتنيه للحراسة ..

هيلين كيلر ومعلمتها « آن سوليفان »

وقد لاحظت عليها أنها تحدث نفسها أثناء النزهة ، ولكن لا بشفتيها كما نفعل نحن ، بل باشارات من أصابعها ! **وقد أخبرتنى سكرتيرتها أنها ، على خلاف الشائع عن العميان زورا وبهتانا ، لا تتمتع بحاسة للاتجاه أدق من حواسنا ، فكثيرا ما تضل طريقها فى بيتها اذا بدلت مواضع قطع الاثاث ·· كما أن حاسة الشم عندها كالتى عندنا لا أكثر**

أما حاسة اللمس فهى على العكس مرهفة جدا عندها ، حتى أنها تستطيع أن تفهم ما يقوله أصدقاؤها اذا وضعت أناملها برفق على شفاههم وهم يتكلمون !·· وتستطيع أن تستمتع بالموسيقى اذا وضعت أناملها على خشب الكمان أو « البيانو » أثناء العزف ·· وبالطريقة نفسها تستمع الى المذياع بأن تتحسس التموجات الصادرة عن بوقه·· وتستمع الى الغناء بأن تضع أناملها على حنجرة المغنى أو المغنية !

واذا صافحتها بيدك اليوم ، ثم قابلتها بعد خمس سنوات ، تذكرتك فورا بمجرد لمسها يدك ·· بل وعرفت فورا ان كنت مسرورا أو منحرف المزاج !

وهى تعشق السباحة والتجديف ، وتهوى التوغل فى الغابات ممتطية صهوة جواد !·· كما تجيد لعبة الشطرنج بأدوات لعب صنعت خصيصا لها ·· وتلعب « لعبة الصبر » بالورق ذى الارقام البارزة · وفى الايام الممطرة تلازم بيتها وتقطع الوقت بحبك الصوف أو نسج « الكروشيه » ··

ومع أن العدد الغالب منا يعتقد أن أشد كارثة تصيب الانسان هى ابتلاؤه بالعمى ، الا أن هيلين كيلر قد أقامت الدليل فى مذكراتها على أن الصمم كارثة أفدح كثيرا من العمى ! ففى ساعات الظلام الحالك والصمت البالغ ، اللذين يفصلانها عن العالم ويجعلانها بمعزل عنه ، لا تتوق الى شىء قدر اشتياقها الى سماع همسة بشرية تنبعث من فم صديق ·· فالاصوات فى اعتقادها أهم كثيرا للانسان من الاشكال والالوان !

شكسبير

حياته فى سطور

◆ « وليم شكسبير » ، شاعر الانجليز وكاتبهم المسرحى الاعظم !

◆ كان مولده موضوع جدل بين الادباء والمؤرخين . والمرجح انه ولد فى « ستراتفورد اون افون » - بانجلترا - وتم تعميده فى ٢٦ ابريل سنة ١٥٦٤

◆ لم يتلق من الدراسة الا ما يعادل المرحلة الاولية . والتحق فى الثانية والعشرين بفرقة مسرح «بلاكفريارز» بلندن، فلم ينقض عام حتى غدا صاحب المسرح

◆ انتج اربعا وثلاثين مسرحية ، بين فكاهية وتاريخية وتراجيدية ، الى جانب القصائد والمقطوعات الشعرية التى بلغ عددها ١٥٤

◆ لقى تقديرا قوميا فى حياته ، وتقديرا عالميا بعد مماته ، مما خلد اسمه فى تاريخ الادب

◆ تزوج فى سن الثامنة عشرة ، وانجب ثلاثة اطفال ، ومات فى ستراتفورد فى ٢٣ أبريل سنة ١٦١٦ ، عن ٥٢ عاما .

«كتابى»

مجد .. ودموع !

◆ لم يلق أحد بالا اليه وهو على قيد الحياة .. بل ان اسمه ظل شبه مجهول خلال المائة عام التالية لوفاته ! ولكن منذ ذلك التاريخ حتى اليوم كتبت عنه آلاف الكتب ، وملايين الكلمات ، وأثار اسمه من التعليقات على أدبه وشخصه أكثر من أى أديب آخر فى تاريخ العالم .. بل ان آلافا من الناس « يحجون » كل سنة الى المكان الذى ولد فيه !

وقد زرت أنا تلك البقعـــة ـ ستراتفورد أون أفون ـ عام ١٩٢١ ، **وتعمدت أن أذرع الحقول الممتدة منهـــا الى قرية « سىلاتارى » القريبة ، ســالكا نفس الطريق الذى كلت من السير فيه قدما الشاب الريفى وليم شكسبير كلما مضى لمقابلة محبوبته « آن هويتلى » !٠٠ ترى هل كان يخطر بباله يومئذ أن اسمه سوف يقرع أسماع الاجيال فى اطار من المجد ؟٠٠** وهل كان فى وسعه أن يصدق أن حبـــه المذكور ، الجميل المثالى ، كان مصيره الاسى والحسرة ٠٠ وسنوات من الندم ؟

زواج ٠٠ اجبارى !

◆ **ذلك** أنه مما لا شك فيه أن مأساة حياة شكسبير انما كانت زواجه !٠٠ كان قد أحب آن هويتلى ، لكنه فى الساعات المتأخرة من الليالى المقمرة كان يمتحن الاقدار باللهو مع فتـاة أخرى ، هى « آن هاثاواى » !٠٠ **فلما علمت آن هاثاواى أن حبيبها قد استخرج رخصة زواج تمهيدا لعقد قرانه على غيرها،**

صعقت ·· جنت فزعا ويأسا !·· وفى نوبة يأسها اندفعت تطرق أبواب جيرانها ، لتبكى عارها أمامهم ، وتوضح لهم لماذا ينبغى على شكسبير أن يتزوجها !·· وأحس جيرانها البسطاء الطيبون بالخزى الذى تعانيه التعسة ، واستبشعوا فعلة الشاب ، فمضوا فى اليوم التالى مباشرة الى دار العمدة والجهات المختصة وشرعوا فى اتخاذ الاجراءات الرسمية لتزويج شكسبير من ضحيته آن هاثاواى !

وكانت العروس تكبر عريسها بثمانية أعوام ، ومنذ البداية كان زواجهما رباطا تعسا · وقد حذر شكسبير فيما بعد قراء رواياته الرجال من أن يتزوجوا نساء يكبرنهم فى السن !·· والواقع أن شكسبير لم يقض مع زوجته الا وقتا ضئيلا للغاية ، أما أكثر أيام حياته الزوجية فقد كان يقضيها فى لندن ، بحيث لم يكن يعود الى أسرته الا نحو مرة كل عام !

والداه وابنته وحفيدته ·· أميون !

◆ **وتعتبر** بلدة « ستراتفورد أون أفون » اليوم من أجمل بلدان انجلترا ، بحدائقها الغناء ، وبيوتها الصغيرة الانيقة ، وشوارعها الملتوية الظريفة ·· لكنها فى أيام شكسبير كانت قذرة ، يعمها الفقر ، وتجتاحها الامراض والاوبئة ـ اذ لم يكن فيها أنابيب للمجارى ـ وكانت الخنازير تعيث فى شوارعها الرئيسية فسادا وتلتهم الفضلات · وقد حكم مرة بغرامة على والد شكسبير ـ الذى كان من موظفى البلدة الرسميين ـ لانه ألقى خارج بابه كومة من مخلفات (الاسطبل) !

ولو عقدنا مقارنة بين عصر شكسبير وعصرنا الحاضر ، لأدركنا أننا نعيش الآن فى أيام رخية هنيئة بالقياس الى تلك الايام ·· ففى زمن شكسبير كان نصف سكان البلدة يعيشون على البر والاحسان ، كما كان أكثرهم أميين ، **بل ان والد شكسبير ووالدته وأخته وابنته ثم حفيدته ·· كانوا جميعا يجهلون مبادىء القراءة والكتابة !**

ومن عجائب المفارقات أن الرجل الذى قدر له أن يصبح عنوانا لقوة ومجد الادب الانجليزى ، اضطر الى ترك المدرسة وهو بعد فى الثالثة عشرة ، كى يعمل ويعين أباه الفلاح فى حلب البقر ، ورعاية الماشية ، وصنع الزبد ، ودبغ الجلود !

ثم ضاق بحياة الريف فهاجر الى العاصمة ، حيث اشتغل حارسا للجياد والعربات أمام أبواب المسارح ٠٠ ثم انتقل الى داخل المسارح حين احترف التمثيل ٠٠ فلم تنقض عليه خمس سنوات حتى كان يربح دخلا لا بأس به من مهنته الجديدة ، حتى لقد اشترى أسهما فى مسرحين ، وصار يقرض المال مقابل فوائد عالية !٠٠ وفى تلك الفترة بلغ ايراده نحو ثلاثمائة جنيه فى السنة (مع ملاحظة أن القوة الشرائية للنقود كانت يومئذ أكبر منها اليوم بنحو اثنى عشر ضعفا !) ٠٠ **ثم لم يبلغ شكسبير الخامسة والاربعين حتى كان دخله يتراوح حول الاربعة آلاف من الجنيهات !٠٠ وحين مات كان معدودا من الاغنياء بحسب مقاييس ذلك العصر ٠٠**

ولكن ، كم من المال تحسبه ترك لزوجته فى وصيته ؟ ولا بنس واحد ! لم يترك لها غير سرير نومه المستعمل ٠٠ وحتى هذا لم يفكر فيه الا فى آخر لحظة ، فكتبه حشرا بين السطور بعد أن انتهى من صياغة الوصية !

شكسبير لم يكن اسما مستعارا لفرنسيس بيكون !

◆ **وبعد** وفاته بسبع سنوات نشرت مسرحياته لاول مرة فى صورة كتب ٠٠ وأنت تستطيع اليوم الحصول فى نيويورك على نسخة من تلك الطبعة الاولى مقابل مبلغ مائتين وخمسين ألفا من الجنيهات ! ــ مع أن مؤلفها شكسبير نفسه لم يقبض أجرا على بعض مسرحياته الخالدة ذاتها ــ مثل هملت ، أو مكبث ، أو حلم ليلة صيف ــ أكثر مما يوازى الآن مائة جنيه للواحدة !

وقد راجت فى وقت من الاوقات شائعات ـ وألفت فى ذلك عشرات من الكتب ـ تزعم أن كاتب مسرحيات شكسبير هو سير « فرنسيس بيكون » وليس شكسبير ، وان هذا الاسم الاخير ما هو الا اسم وهمى مستعارا تخذه بيكون ليستتر وراءه، خجلا من أن يكتب نبيل مثله فى الحب ، ويمثل ما يكتبه على المسارح !.. وبالتالى تزعم تلك الشائعات أن شكسبير شخص خيالى لم يوجد أصلا !.. لكننى سألت فى ذلك الباحث المحقق « دكتور س. ا. ثانتباوم » ، الذى ألف عدة كتب عن شكسبير ، فقال ان هناك أدلة قاطعة تؤكد أن مؤلف مسرحيات شكسبير هو « وليم شكسبير » الذى ولد وعاش زمنا فى بلدة « ستراتفورد أون أفون » !

يقدرون أمواله .. لا أدبه !

◆ وقد طالما وقفت أمام قبر شكسبير ، أردد تلك العبارات المفزعة التى كتبها هو على قبر أحد أبطال رواياته : « أيها المار ، ترفق فلا تحفر هذا التراب .. فلتباركك السماء اذا تجنبت المساس بهذه الاحجار ، ولتلعنك اذا جرؤت على تحريك عظامى ! »

وعندما مات شكسبير دفن فى كنيسة بلدته الصغيرة « ستراتفورد »، أمام منبر الواعظ.. فهل أعطوه مكان الصدارة والشرف ذاك تقديرا لعبقريته ؟ كلا ، بل ان الشاعر الذى صار فيما بعد قطب الادب الانجليزى وعماده الاول ، انما دفن فى تلك الكنيسة لانه كان يقرض الاموال لاهل بلدته .. ولو لم يفعل ذلك مبتكر شخصية المرابى شايلوك ـ تاجر البندقية ـ لكانت عظامه اليوم ضائعة المعالم فى قبر لا يعرف أحد مكانه !

ستالين

حياته فى سطور

◆ « يوسف فيساريونوفتش دزوجا شفيلى » ، عاهل روسيا السابق

◆ ولد بمقاطعة جورجيا الروسية فى ديسمبر سنة ١٨٧٩

◆ اقبل على دراسة اللاهوت الى ان وقع فى يده كتاب كارل ماريس (راس المال) ، فلم تحل سنة ١٩٠٠ حتى صار عضوا فى الحزب الاشتراكى الديموقراطى

◆ اعتقل خمس مرات ، ثم نفى الى سيبيريا عام ١٩١٣ فبقى حتى نشوب الثورة

◆ استعان به لينين فى سنة ١٩١٧ فعينه وزيرا للقوميات ، حيث ظل اربع سنوات ، ثم صار سكرتيرا للحزب الشيوعى

◆ اختلف مع زعيم شيوعى اخر هو تروتسكى ٠ واشتد الخلاف بعد موت لينين ، ولكن ستالين تغلب على معارضيه، وامسك بأزمة الحكم ونفى تروتسكى من الاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٢٩

◆ استطاع ان يوجه الجيش الاحمر فى الحرب العالمية الثانية بمهارة وحذق ، ووفق الى توسيع رقعة بلاده ونفوذها

◆ توفى فى مارس ١٩٥٣

« كتابى »

الرجل الذى حكم ٢٠٠ مليون نسمة !

◆ انه أقوى رجل فى العالم اليوم(١) ٠ تعبده ملايين من الناس، وتمقته ملايين أخرى! ٠٠ كان والداه يوما فى حكم العبدين، يباعان ويشريان مع الارض التى يعيشان عليها ٠٠ ولكن ابن

(١) كان ستالين ما يزال على قيد الحياة عندما وضع كارنيجى هذا الكتاب

ذينك العبدين السابقين يحكم اليوم سدس الكرة الارضية ، ويتحكم فى مصائر أكثر من مائتى مليون من البشر !

قد تعجب به ، أو قد تحتقره ٠٠ لكن هناك شيئا واحدا مؤكدا ، هو أنك لا تستطيع أن تتجاهله ٠ ولست أفهم كيف يمكن الا أن يحترم الانسان اخلاصه ـ مدى الحياة ـ لهدف واحد ، لم يتحول عنه قط !

اسمه ستالين ، جوزيف ستالين ٠٠ لكن اسمه الحقيقى فى الواقع كان « يوسف فيساريونوفتش دزوجاشفيلى » ! **٠٠ ولد فى أول ديسمبر سنة ١٨٧٩ فى بيت صغير متواضع ـ كان ايجاره الشهرى ستة شلنات (ثلاثين قرشا !) ـ باقليم « جورجيا » المشرف على البحر الاسود ، والغنى بحقول البترول الروسية ٠٠**

وأهل « جورجيا » ما يزالون يتكلمون لغتهم الخاصة ، برغم ضم بلادهم الى روسيا منذ ١٤٠ سنة ! وقد كان ستالين نفسه يتكلم هذه اللغة حتى سن العشرين ، بل انه عاش طيلة حياته يتكلم الروسية بلهجة أهل جورجيا !٠٠ وقد تعجب اذا علمت أن اللغتين تختلفان احداهما عن الاخرى بقدر اختلاف اللغة الاسبانية مثلا عن الانجليزية !

كانت أمه غسالة !

◆ **وقد** ألغى القيصر اسكندر الثانى نظام العبيد فى روسيا قبل أن تلغيه أمريكا بثلاث سنوات ٠٠ فلما ولد ستالين الصغير سنة ١٨٧٩ كان أبواه قد أصبحا فى عداد الاحرار ٠٠ الاحرار فى أن يكسب الاب خبزه اليومى من اصلاح الاحذية ، وتكسبه الام من غسل الثياب ٠٠

فلنر كيف وصل جوزيف ستالين الى جعل نفسه الحاكم المطلق على أراضى روسيا الشاسعة ، التى حكمها قبله قياصرة

روسيا لاكثر من خمسمائة عام ٠٠ أعنى لنر كيف صار «يوسف فيساريونوفيتش دزوجا شفيلى» : جوزيف ستالين !

بدأ أولا بتلقى العلم ، الذى رفعه فى بيئته الوضيعة الفقيره ومنحه نظرا ثاقبا وهدفا لحياته ٠ **وكان أبوه قد أراده أن يصير اسكافا ، لكن أمه كانت لها أحلام – شأن سائر الامهات ! – بل ان هذه الام الجاهلة التى ولدت فى ظل العبودية، والتى كانت تكسب قوتها من غسل الثياب وحياكتها ، تاقت الى أن ترى ابنها يعيش حياة أبهج من حياتها ، فى دنيا أفضل من الدنيا التى عرفتها !**

وكانت قد ألفت التردد على الكنيسة الروسية الارثوذكسية، لتوقد الشموع أمام مذبح قديس من القديسين ، وتركع وتبكى وهى تصلى كى يصبح ابنها « يوسف » قسا يكرس حياته لخدمة الدين ٠٠ وما كانت لتعبأ بفداحة المجهود أو طول المدة التى تلزمها لبلوغ أمنيتها هذه ، فقد كانت تسعى الى هدف ٠٠ وهدف مقدس !

نقطة التحول فى حياته !

◆**وبفضل** بحثها الدائب عثرت لابنها على مكان فى معهد لتعليم الدين فى مدينة« تيفليس » ، فالتحق ستالين بذلك المعهد ، وبقى فيه سنوات ٠٠ ولكن ذات يوم ، وهو فى الخامسة عشرة ، حدث شىء ٠٠ شىء كان فى ذاته تافها ، ولكن قدر له أن تتولد عنه « مضاعفات » هزت العالم من أساسه فى المستقبل: **وقع فى يد الفتى ستالين كتاب أحدث فى تاريخ البشرية من التأثير ما لم يحدثه أى كتاب آخر غير دينى ٠٠ وكان الكتاب المذكور هو : « رأس المال » لكارل ماركس !**

وأحدث الكتاب فى نفس الفتى هزة ألقت به من فورها فى زمرة الاتباع « السريين » لكارل ماركس ! وجعلته يقرر أن يكرس حياته للكفاح من أجل مصالح قومه ومواطنيه ٠٠ فقد

ثارت نفسه على الفقر المدقع الرهيب الذى كان يعيش فى دوامته عشرات الملايين من الفلاحين الروس ٠٠ وكان فقرا « خياليا » يصعب علينا حتى أن نصدق به ٠٠ **فان الكثيرين من أولئك الفلاحين الروس كانوا عاجزين عن شراء الملح الذى يملحون به طعامهم !!**

وآمن ستالين بأن الطريق الوحيد لتحسين أحوال معيشة أولئك المواطنين هو : الثورة !٠٠ لكن نشاطه الثورى الذى انغمس فيه منذ ذلك اليوم أدى به الى الطرد من المعهد الدينى الذى كان يدرس فيه ٠٠ فعاش الربع قرن التالى يعمل بغير توان لتحقيق مثله العليا ٠ **وفى سبيل ذلك رضى مختارا بأن يعيش معيشة الحيوان الطريد ، فعاش سنوات بلا بيت ! وكانت تنقضى عليه أسابيع طويلة لا يبيت خلالها فى المكان**

الواحد مرتين !٠٠ ومن أجل مبادئه المذكورة قضى ثمانية أعوام من حياته ٠٠ فى السجن !

لكنه طيلة تلك السنوات الشاقة من الجهـــاد ، والفرار ، والاعتقال ، لم ينقطع يوما عن العمل من أجل « الحزب » : بالقاء الخطب الثورية ، وتحرير صحيفة ثورية كان يصدرها من زنزانته بسجن سانت بطرسبرج !

لا يخشى النفى ٠٠ ولا الموت !

◆ **وكان** ستالين ثوريا من ذلك الطراز المتفانى ، المتأهب على الدوام لبذل حريته بل وحياته ذاتها اذا اقتضى الامر !٠٠ وعاش بهذه الروح وهذا الشعور اسبوعا بعد أسبوع وعاما بعد عام ٠٠ **فلما فشلت ثورة سنة ١٩٠٥ فر «لينين» و«تروتسكى الى سويسرا للنجاة بنفسيهما ٠٠ أما ستالين فأبى أن يفر ، بل بقى فى روسيا يتحدى بوليس القيصر ، فى وقت كان القبض عليه فيه يعنى احتمال اسناد ظهره الى حائط ، ورميه بالرصاص!**

وخلال مدة غياب لينين فى المنفى ، دأب على تهريب المقالات الثورية على ورق السجاير أو فى داخل علب الصفيح التى تخبأ فى براميل النبيذ ٠٠ فكان ستالين يتلقـــاها فينشرها فى صحيفته السرية !

ونفى ستالين الى سيبيريا ست مرات ٠٠ وفر من المنفى خمس مرات ، ليعود فيستأنف تغذيته لبذور الثورة يوما بعد يوم ٠٠ فان قضبان السجون ، وسياط الجلاد ، والتهـديد بالموت ، لم تفلح كلها فى ارهابه ، بل انها على العكس زادت من تعمق ورسوخ عقيدته الواحدة التى لا تتبدل : أن يسقط حكومة بلاده المستبدة ويعطى أرض روسيا وثروتها للشعب !

فى المنفى الرهيب ٠٠ بصحراء سيبيريا !

◆ **ولكن** ، فى المرة الاخيرة ـ السادسة ! ـ التى قبض فيها بوليس القيصرية على ستالين ، لم يبق محل لافساح أية فرصة له فى الهرب ، فأرسلوه فى حراسة شرطيين الى منفى سحيق

كان الذاهب اليه فى حكم المفقود ، والعائد منه فى حكم المولود! وهناك ، فى الاكواخ الثلاثة المنعزلة التى يتألف منها المنفى ، والواقعة فى أقصى صحراء سيبيريا الجليدية ، على بعد أقل من ١٨ ميلا من المنطقة القطبية ، ألقى ستالين لمصيره ، دون حاجة الى قيود أو سدود !٠٠ وما جدوى القيود وهو لو حاول الفرار لمات حتما فى الطريق ، بردا وجوعا ؟

وعاش الاسير فى ذلك المنفى الرهيب سنوات أربع ، كان الطعام الذى يصل الى المستعمرة خلالها من الندرة بحيث ينطبق عليه المثل الروسى القائل : « **ان حشرة البق تعتبر فى الصحارى الجليدية لحما شهيا ! » ٠٠ بل انه كان اذا أراد خشبا للتدفئة اضطر الذهاب الى الغابة لقطعه وحمله الى الكوخ بنفسه !٠٠ وكان البرد والصقيع من الشدة بحيث لم يكن فى طوقه أن يقرأ أو يقوم بأية دراسة ٠ بل كان قصاراه أن يؤدى عملا يدويا شاقا كى يحمى جسده من التجمد الى درجة الموت !**

وبرغم أن موقفه كان ميئوسا منه ، فان ستالين لم يفقد الامل يوما ، وانما آمن بأن لا بد سوف يأتى يوم يتمكن فيه من النجاة !

وقد نجا بالفعل : نشبت ثورة ١٩١٧ ، فأطلق سراحه !

زوجتاه ٠٠ وأولاده ٠٠ وحياته العائلية

◆ **واسم** ستالين مشتق من اللفظ الروسى « ستال » ، ومعناه « الصلب » أو الفولاذ ! وقد صدقوا ، فان عوده كان أصلب من صفيحة الفولاذ البارد التى لا تنثنى ٠٠ والواقع أن ستالين بالذات كان صاحب الفضل ، أكثر من أى رجل آخر ، فى احتفاظ الحزب البلشفى بوحدته وتضامن أعضائه خلال تلك السنوات العصيبة ، الامر الذى مكن من قيام الثورة التى أطاحت بحكومة القياصرة ٠

وقد تزوج ستالين مرتين : أما زوجته الاولى « كاترين » فكانت فتاة شابة ضئيلة التعليم ، وقد ولدت له ابنا ، لكن

حياتهما الزوجية كانت تعسة للغاية ٠٠ فقد كان ستالين مطاردا بصفة شبه دائمة من البوليس ، فلم يكن يستقر فى بيته أياما حتى يغادره هاربا من جديد تحت جنح الظلام ٠٠ ثم لم تنقض على زواجهما أربع سنوات حتى ماتت كاترين بداء الصدر ٠٠

ولم يتزوج ستالين مرة ثانية حتى أوفى على الاربعين ، وعندئذ عقد زواجه على فتاة فى السابعة عشرة !٠٠ وقد ماتت هذه سنة ١٩٣٤ من تسمم دموى أعقب انفجارا فى الزائدة الدودية ٠ ويومئذ دفنت الزوجة باحتفال دينى أورثوذكسى كبير ، خلافا للعرف السوفييتى السائد !

وأنجبت له هذه الزوجة الثانية ولدا وبنتا ٠ وقد اشترك كلا ابنيه فى القتال خلال الحرب الاخيرة ، فكان الاكبر ضابطا فى المدفعية ، والاصغر فى القوات الجوية ـ وقد كوفىء الاخير على بسالته بوسام كبير !

زاهد ٠٠ لكنه متأنق !

◆ **ويقطن** ستالين ـ بصفته الحاكم الاعلى لروسيا ـ بقرب القصر الامبراطورى الذى عاش فيه القياصرة تسعة وستين عاما ٠ وقد كان فى وسعه ـ لو أراد ـ أن يقيم فى حجرات ضخمة تزينها اللوحات الزيتية الخالدة والسجاد الثمين ، وينام فى الفراش الذى نام فيه القياصرة ٠٠ لكن جوزيف ستالين اختار لسكنه شقة صغيرة مكونة من أربع غرف ، كان يقطنها يوما أحد خدم القيصر !!

أما طعامه فيأتيه من مطبخ قصر « الكريملين » ، ويقدمه اليه على المائدة جندى ٠ وهو نفس الطعام الذى يقدم للمئات من موظفى القصر الحكومى !

وستالين يمقت الظهور ، ويرتبك فى حضرة الغرباء • وقد قضى بعض سفراء الدول العظمى أعواما طويلة فى موسكو بغير أن يقع بصرهم عليه مرة !

لكنه مولع بالتأنق فى ملبسه ، وله ذوق خاص فى اختيار نسيج سترته وألوانها • وقد قابله المبعوث الامريكى ، المرحوم « ويندل ويلكى » أربع أو خمس مرات ، فلم يره بنفس الثياب أكثر من مرة !•• وفى احدى المرات كانت سترته زرقاء فاتحة، وبنطلونه قرنفلى اللون ، وحذاؤه أسود لامعا ••

وحين يهنئه الزائرون على المعجـــزات التى حققها ، يكتفى بالجواب : « انها لا شىء بالقياس الى ما نعتزم القيام به » •• وهو ، برغم جبروته ، من الفطنة بحيث يدرك أنه ليس معصوما من الخطأ • وقد كتب مرة : « ان فضيلة الانسان الرئيسية هى أن تكون له الشجاعة ليعترف بأخطائه ، والقوة على أن يصلح هذه الاخطاء فى أقصر وقت ! »

وستالين يصل الى تحقيق أغراضه ، لكن أســـاليبه تكون أحيانا فظة قاسية •• حتى لقد قال فيه لينين ، أبو الثورة الروسية : « هذا الطاهى سوف يترك الطعام يسخن حتى درجة الغليان ! » •• ولكن ، لو لم يعد هذا الطاهى الروسى وجبـة فى درجة الغليان ، لهتلر وأتباعه النازيين ، فهل فى وسعنا أن نتصور كم ألفا آخرين من جنود الحلفاء كان لا بد من التضحية بأرواحهم ، قبل أن تنهار قلعة هتلر ؟!

ذلك أن جوزيف ستالين ـ الطاغية ـ لكى ينقذ روسيا ، ساهم بنصيب كبير فى انقاذ الديمقراطية • وانه ليفزع المرء أن يفكر فيما كان عساه أن يحدث لنا ـ لك ولى ـ لولا بطولة جيش ستالين الاحمر وتضحياته !

مـوزار

حياته في سـطور

◆ «ولفجانج اماديس موزار» ، موسيقى نمسوى من العباقرة

◆ ولد فى ٢٧ يناير سنة ١٧٥٦، وتبدت مظاهر نبوغه الموسيقى وهو فى الثالثة . وبدأ يؤلف الحانا وهو فى الرابعة ، وعزف امام الجمهور وهو فى الخامسة ، ونشر اول انتاج له وهو فى السادسة !

◆ قام بجولات فى اوروبا استغرقت سنوات طويلة ، عزف خلالهـا على اعظم مسارحها ، كما توفر فى اثنائها على الدرس والتاليف

◆ اعجب به امبراطور النمسا « فرانسيس الاول » الى درجة انه كان يجلس الى جواره وينصت فى شغف الى عزفه ويسميه « ساحرى الصغير »

◆ بلغت القطع المتفرقة التى الفها ٦٢٦ قطعة !

◆ ظهرت اشهر اوبراته فيما بين سنتى ١٧٨٥ و ١٧٨٧

◆ كتب فى آخر أعوام حياته طائفة من اروع انتاجه

◆ تزوج فى سنة ١٧٨٢ من « كونستانزا ويبر » ولم تكن ربة بيت مدبرة فظل يعيش منذ زواجه حتى وفاته غارقا فى الديون .

◆ توحى الاشاعات بأن الموسيقى الايطالى « انتونيو ساليرى » دس له السم لفرط غيرته منه ، ولكن المرجح انه مات تحت وطأة التيفويد والسل مجتمعين

◆ كانت وفاته فى ٥ ديسمبر سنة ١٧٩١ ، وهو بعد فى الخامسة والثلاثين .

◆ وبالرغم من عظمته الموسيقية وما خلف من آثار خالدة الا انه دفن فى مقابر الفقراء !

«كتابى»

هل الفقر من ضرورات العبقرية !

◆ **حدثني** ذات مرة المرحوم « ليوبولد أوير » أستاذ الكمان الروسى العظيم الذى اكتشف ودرب من نوابغ الموسيقيين أكثر من أى أستاذ آخر فى عصرنا هذا ، فقال : « اذا كنت تريد أن تكون موسيقيا عظيما فانه يتعين عليـــك أن تكون قد ولدت فقيرا ! ثم أضاف ان هناك ثمة شيئا ـ وقد سلم بأنه لا يعرف ماهية هذا الشىء بالضبط ! ـ شيئا يغرسه الفقر فى النفس .. شيئا روحانيا جميلا ينمى الاحاسيس ، والقوة ، والتعاطف والرقة !

وقد كان موزار من الفقر بحيث لم يكن قادرا عـــلى شراء الخشب الذى يدفىء بناره الحجرة الحقيرة التى كان يعيش

فيها .. فكان يعمد الى دس يديه فى جورب من الصوف كى يستدفىء ويقوى على وضع موسيقاه الآلهية التى جعلت اسمه فى الخالدين !

وقد مات موزار بمرض السل وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، بعد أن تضاءلت حيويته بفعل البرد المستمر ، والجوع ، ونقص التغذية .. وبلغت تكاليف جنازته الباعثة على الرثاء نحو ١٢ شلنا ونصف ! ولم يشيع جنازته غير ستة أشخاص فقط ساروا وراء النعش الذى ثوى فيه .. وحتى هؤلاء الستة اضطروا لان يعودوا أدراجهم حين أخذ المطر ينهمر بشدة !

أغنيات عالمية .. عاش ملحنوها فقراء !

◆ **وعلى** ذكر موزار والفاقة التى عاناها نوابغ الموسيقى ، حدثنى « هارولد ستانفورد » الذى كان الصديق الحميم « لفيكتور هربرت » بأن فيكتور عندما رحل الى أمريكا للمرة الاولى ، عانى من الفقر الامرين ، الى درجة أنه لم يكن يملك أحيانا غير قميص واحد .. فكان كلما اتسخ ذلك القميص « اليتيم » يضطر الى النوم فى الفراش ريثما تغسله زوجته وتكويه !

وأنا أذكر الاغنية التى كنا جميعا نرددها فى باكورة أيام الحرب العالمية الاولى ، وهى الاغنية التى مطلعها « ان الطريق طويل ، طويل الى تيباريرى » .. وقد كانت من أكثر الاغانى التى وضعت عن الحرب ذيوعا بين الناس ، ومع ذلك فان واضعها وهو « جاك جادج » كان يدير سوقا للسمك فى النهار ، ويعمل ممثلا فى الليل .. ليتمكن من أن يعيش !

ومن أشهر الاغانى التى لحنت فى العصر الحديث أغنية « حبال من الفضة وسط الذهب » وقد لحنها « هارت . ب . دانكس » كعربون للحب قدمه الى زوجته ، وباعها للناشر

بثلاثة جنيهات فقط !٠٠ ثم تشاجر بعدئذ مع زوجته وافترقا ، حتى مات هو منذ حوالى خمسة وثلاثين عاما ، فقيرا وحيدا ، فى منزل حقير ٠٠ وعلى منضدة بجوار الفراش الذى مات عليه وجدت ورقة تحمل هذه الكلمات « ما أشق أن تتقدم فى السن، وحيدا ! »

كذلك من أشهر المقطوعات الموسيقية وأكثرها ذيوعا فى العالم ، مقطوعة كتبها ابن جزار ـ ومن دواعى الدهشة أنها لحنت بين حظائر الحيوانات فى قرية « سبيلفيل » ـ وهذه المقطوعة تسمى « هيوموريسك » ٠٠ وانه لينـدر أن تنقضى ساعة من ساعات النهار أو الليل دون أن تعزف هذه المقطوعة فى مكان ما من العالم !

وواضع المقطوعة بوهيمى يدعى « انطون دفوراك » ، وقد رحل الى أمريكا وهو فى الخمسين من عمره ، ولكنه لم يطق تحمل صخب نيويورك وضوضائها فعاش ردحا من الزمن فى « سبيلفيل » ، وهى قرية حقيرة ليس فيها أى مرفق من مرافق المواصلات ولا شارع واحد مرصوف ، الى يومنا هذا !

ومع ذلك فأثناء اقامته هناك كتب « دفوراك » جزءا من لحنه الذى أطلق عليه « سيمفونية العالم الجديد » ، وهو يعتبر من أجمل وأمتع الالحان التى وضعها انسان ! ولما كان قد لحنه فى حقول الحنطة فى تلك القرية فقد فكر « دفوراك » وقتا ما فى أن يسميه « سيمفونية سبيلفيل »

يصنع السجق ٠٠ ويؤلف الالحان !

◆ **وقد** ولد « دفوراك » لاثنين وتسعين عاما خلت فى قرية صغيرة فى بوهيميا النائية ٠ وبعد أن نال قسطا ضئيلا جدا من التعليم كان عليه أن يعمل ساعات طويلة فى محل جزارة والده ٠ **ولكن أثناء صنعه « السجق » كانت الالحان تتجاوب فى خياله ، وفيما هو يقطع شرائح الخنـازير كانت الاغانى**

تتماوج فى قلبه !٠٠ وعليه فقد ترك محل الجزارة وذهب الى (براغ) ليتعلم الموسيقى ٠٠ ولكن أين المال ؟ لم يكن معه من النقود سوى بنسات قليلة كان يجمعها بين حين وآخر من العزف على الكمان فى الشارع ٠ وبلغت به الفاقة حدا اضطر معه الى أن يقطن فى حجرة فوق سطح أحد المنازل فى حى من أفقر أحياء المدينة ! ورغم ضآلة ايجار تلك الحجرة فانه لم يستطع أن يستقل بها بمفرده ، فشاركه فى الاقامة فيها خمسة آخرون من الطلبة !

وكانت الغرفة شديدة البرودة فى الشتاء ٠ ومن فرط الجوع اعترى الهزال جسمه اذ كان يفوت عددا من وجبات الطعام ليوفر قيمة ايجار حطام بيانو قديم ، بلغ منه التحطيم أن بعض مفاتيحه ما كانت تخرج صوتا على الاطلاق !

والى ذلك البيانو ، وفى تلك الغرفة الباردة الكئيبة ، جلس « دفوراك » فوضع كثيرا من الالحان الجميلة التى لم يستطع حتى مجرد تدوينها ، ولماذا ؟ لانه لم يكن يملك من النقود مايشترى به الورق الذى يسجلها عليه ، فكان يعمد أحيانا الى التقاط الورق المهمل الملقى فى الشارع فيدون عليه موسيقاه !

وبرغم ذلك فينبغى أن لا نبالغ فى الشعور بالاسى على « دفوراك » ، فان فقره ساعد مساعدة فعالة على شحذ عبقريته ٠٠ واذا استمعت الى مقطوعته المسماه « هيوموريسك » ، فحاول أن تكتشف فيها ذلك الجمال الروحانى ، والرقة ، وشتى المشاعر التى سجلها رجل تألم وقاسى كثيرا ، رجل كافح واحتمل البرد والجوع ٠٠ رجل ذاق مرارة الحياة وسبر أغوار اليأس !

تولستوى

حياته فى ســــطور

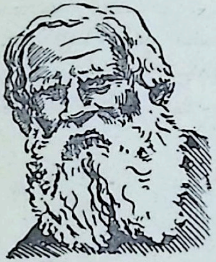

◆ الكونت «ليونيكولايفيتش تولستوى» الروائى والفيلسوف الروسى الزاهـــد ، صاحب مدرسة خاصة فى الادب والقصــة والفلسفة

◆ ولد فى ٢٨ اغسطس سـنة ١٨٢٨ فى ولاية تولا الروسية

◆ قضى مرحـــلة الصبا فى التعليم والفلاحة وممارسة حياة الترف ٠ والتحق بالجيش ، ثم قام بجولات فى اوروبا ٠

◆ استمد لنفسه فلسفة خاصة كانت تقضى بان لا يحاول ان يكون احكم واكبر مما تقتضى الحياة والطبيعة ٠ وقد اجاد عرض مذهبه فى رواية « الحرب والسلام » التى نشرت فى سنة ١٨٦٦

◆ بدأ أروع قصصه «انا كارنينا» فىسنة ١٨٧٣ ٠ فعاوده الصراع النفسى أثناء تاليفها ، فراح يدعو للبر بالفلاحين والفقراء ، وبالتجرد من الثروة الدنيوية ، والعيش فى بساطة ، مما أثار عليه السلطات

◆ سببت له فلسفته شقاقا بينه وبين أسرته ٠ وهجر بيته فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ ، ثم مات بعد ١٠ أيام وهو يهيم على وجهه ٠

«كتابى»

أغرب من قصص ألف ليلة !

◆ قصة تولستوى هى قصة حياة انسان عظيم ، وهى تكاد تفوق فى غرابتها قصص ألف ليلة وليلة !٠٠ انها قصة « نبى » بشرى مات فى عصرنا الحاضر ـ سنة ١٩١٠ ـ وبلغ من توقير مواطنيه له أنه عاش العشرين عاما الاخيرة من حيــاته هدفا لسيل لا ينقطع من المعجبين الذين كانوا « يحجون » الى بيته

أملا فى أن يتزودوا بنظرة عابرة الى وجهه ، ويسمعوا نبرات صوته ، ويلمسوا أهداب ثوبه !

بل ان عددا من أصدقائه نزلوا فى داره وعاشوا معه تحت سقف واحد « أعواما » كاملة كي يسجلوا ، بالاختزال ، كل كلمة ينطق بها ، فى أى موضوع تافه أو حديث عابر .. ويصفوا بمنتهى الدقة أتفه تفصيلات حياته اليومية .. وقد جمعت هذه السجلات جميعها فيما بعد وطبعت فى مجلدات ضخمة ، صارت مرجعا هاما لكل مؤرخى حياة تولستوى ..

٢٣ ألف كتاب !

◆ ولعله لم يسبق فى تاريخ البشرية – أو يلحق ، حتى الآن – أن كتب عن انسان من المؤلفات مثلما كتب عن تولستوى: فقد بلغ عدد الكتب التى وضعت عن حياته وآرائه ٢٣ر٠٠٠ (ثلاثة وعشرين ألف كتاب) ! كتبت بجميع اللغات ، هذا عدا ٥٦ر٠٠٠ (ستة وخمسين ألف) مقال فى الصحف والمجلات .. أما عدد مؤلفاته هو وقصصه ، فقد ملأت ١٠٠ (مائة) مجلد !

حياة .. مليئة بالمفارقات !

◆ وقصة حياة تولستوى حافلة بالصور والالوان الشائقة ، مثل قصصه سواء بسواء .. فقد ولد فى قصر مكون من ٤٢ غرفة ، تحوطه أسباب الترف البالغ والثراء العريض المأثورين عن الطبقة الارستقراطية فى روسيا القيصرية .. لكنه فى أواخر حياته تنازل عن جميع أملاكه وضياعه ، ومتاعه الدنيوى ، ايمانا بمثله العليا التى عاش ينادى بها ، ثم مات لا يملك شروى نقير، فى محطة سكة حديد صغيرة مقفرة ، لا يحيط به غير عدد من الفلاحين !

وفى شبابه كان مزهوا بجاهه ، يمشى متأنقا – وكأنه يتخطر – وينفق فى حوانيت الخياطين فى موسكو ثروات

طائلة !.. لكنه فى شيخوخته ارتدى الزى الخشن الذى يرتديه الفلاح الروسى ، وصار يصنع أحذيته بيديه ، ويرتب فراشه ويكنس غرفته بنفسه ، ويتناول طعامه البسيط ـ على مائدة عارية من الغطاء ـ من آنية خشبية ، بملعقة خشبية !

يزنى .. ويقتل .. ويرتكب كل موبقة !

◆ **وفى** شبابه عاش تولستوى معيشة وصفها هو نفسه فى « اعترافاته » بأنها « معيشة قذرة شريرة » ! كان يشرب الخمر ، ويقامر ، ويبارز ، ويزنى ، ويرتكب كل موبقة وجريمة .. حتى القتل ! لكنه فى مستقبل حياته حاول أن يتبع تعاليم « المسيح » بحذافيرها .. وبات أقرب شخصيات بلاده ، بل أقرب البشر عموما الى القداسة !

وفى السنوات الباكرة من حياته الزوجية نعم هو وزوجته بسعادة « مثالية »، حتى أنهما كانا يجثوان على ركبتيهما مبتهلين الى المولى عز وجل ، أن يديم لهما هذه الحياة المباركة وتلك السعادة العظمى .. لكن تولستوى شقى فيما بعد مع زوجته شقاء مفجعا جعله لا يطيق رؤيتها !.. وحين رقد على فراش الموت كان رجاؤه الاول أن لا يؤذن لها بالدخول عليه !

يخجل من أعظم مؤلفاته !

◆ **وفى** شبابه كان تولستوى تلميذا فاشلا ، يئس مدرسوه الخصوصيون من أن يدخلوا الى ذهنه الصفيق أية معلومات نافعة .. لكنه بعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ كتب اثنتين من أعظم الروايات التى عرفها العالم والتى ستخلد على مر العصور : « أنا كارنينا » و « الحرب والسلم »

وتولستوى اليوم أكثر شهرة ، فى خارج روسيا ،منجميع القياصرة الذين حكموا تلك الامبراطورية الدموية .. ولكن ترى هل أسعده أنه كتب هاتين القصتين الخالدتين ؟ فى البداية ، نعم !.. أما فيما بعد ، فقد خجل من كونه كتبهما وكرس بقية

حياته لكتابة نشرات صغيرة يعظ فيها بالسلام والمحبة ومحو الفقر ٠٠ وقد طبعت تلك النشرات طبعات رخيصة وصارت توزع على العربات من باب الى باب ٠٠ حتى نفد منها فى أربع سنوات ١٢ مليون نسخة !

مأساته ٠٠ زوجته !

◆ **وقد** كانت حياة تولستوى فى مجموعها مأساة ٠٠ وكان سبب مأساته : زواجه !٠٠ فقد كانت زوجته تحب الترف ، وهو يحتقره !٠٠ هى تتحرق شوقا الى المجد والنجاح الاجتماعى، وهو لا يبالى البتة بهذه التفاهات !٠٠ هى تسعى الى المال والثراء ، وهو يعتبر اقتناء المال والممتلكات الخاصة خطيئة !٠٠ هى تؤمن بالحكم الذى يستند الى القوة ، وهو يؤمن بالحكم الذى يستند الى المحبة ٠٠

وزاد الشقة بين الزوجين اتساعا ، ما اتصفت به الزوجة من غيرة نارية مفترسة !٠٠ غيرة دفعتها الى أن تكره أصدقاءه،

وتطرد ابنته ـ وابنتها فى الوقت نفسه ! ـ من البيت ·· ثم تندفع الى غرفة تولستوى فتطلق على صورة الابنة الموضوعة على منضدته طلقة من بندقية صيد !·· وعاشت الزوجة الحمقاء سنوات تثير أعصاب تولستوى بنكدها وصياحها وتأنيبها ، حتى أحالت حياته جحيما ·· وكان أخص ما أحنقها عليه أنه أعطى الشعب الروسى مطلق الحرية فى أن يطبع مؤلفاته بلا مقابل ، ودون أن يحتفظ له بحق الملكية ··

وفى احدى مشادات الزوجة السليطة ـ اذ عارضها تولستوى فى رأيها يوما ـ أصيبت بشبه نوبة « صرع » فارتمت على الارض وفى يدها قارورة « أفيون » قربتها من شفتيها وهى تقسم أن تقتل نفسها ·· أو تلقى بنفسها فى البئر !

كان قد انقضى على زواجهما وقتئذ نصف قرن ·· وكانت الزوجة تركع أحيانا عند قدمى زوجها متوسلة اليه أن يعيد على مسامعها عبارات الحب القوية الملتهبة التى كتبها عنها فى مفكرته قبل ثمان وأربعين سنة ـ عندما كانا يتبادلان حبهما « الجنونى » القديم ! ـ فكان كلما قرأ لها ذكريات تلك الايام السعيدة التى انقضت الى غير رجعة ، ينخرط كلاهما فى البكاء بحرقة ومرارة !

نهاية الطريق !

◆ **لكن** كأس تعاسته فاضت به آخر الامر ، ولم يعد يحتمل شقاءه البيتى المفجع أكثر مما احتمل ·· **ففر من بيته ومن زوجته ليلة ٢١ اكتوبر سنة ١٩١٠ ـ وهو فى الثانية والثمانين ـ فى قلب الليل البارد المظلم ، دون أن يدرى الى أين هو ذاهب ! ·· وأصيب من جراء ذلك بالتهاب رئوى حاد ، قضى على حياته بعد أحد عشر يوما ، فلفظ أنفاسه فى « كشك » محطة سكة حديد صغيرة مقفرة ·· وليس حوله غير ابنته ، وأصدقائه الفلاحين ·· ومصورى الصحف العالمية !**

برنارد شو

حياته فى سطور

◆ ولد فى ٢٦ يوليه سنة ١٨٥٦ بدبلن فى ايرلندا ، واعجزه الفقر عن ان يمضى فى التعليم بعد سن الخامسة عشرة

◆ عمل فى مكتب سمسار للاراضى ، ولكنه ما لبث ان نزح الى لندن واجتذبته مهنة الادب

◆ كان يكره أن يلقب بأنه اعظم مؤلف مسرحى انجليزى حديث ، لمجرد اعتزازه بأنه ايرلندى ومقته لانجلترا ۰ وكان من أقوى الناقدين للمجتمع الانجليزى والامبراطورية البريطانية

◆ فاز بجائزة نوبل للاداب فى سنة ١٩٢٦ ۰ واشتهر الى جانب التاليف المسرحى بانه داعية اشتراكى ، وناقد فنى ، وناقد ادبى ۰ وخطيب ۰۰

« كتابى »

◆ **يزخر** العالم بأسماء كثيرة لامعة يشار الى أصحابها بالبنان ، ولكن ليس فيه الا العدد القليل من المشاهير الذين يعرفون بالحروف الاولى من أسمائهم ۰ وأحد هؤلاء القلائل رجل ايرلندى معروف بالحروف الاولى من اسمه وهى « ج۰ ب۰ ش » ، وقد كان حتى وفاته أشهر أديب فى العالم كله ! وقصة حياته التى تفوق التصور قد ضمها كتاب نفيس ، ولكن من الغريب أن الكتاب لم يحمل الاسم الكامل لصاحب الترجمة ، بل كان عنوانه « ج۰ ب۰ ش » وهى الحروف الاولى لاسم جورج برنارد شو الذى نحاول في هذه العجالة أن نأتي على خلاصة وافية لحياته الفذة

رجل المفارقات

وحياة برنارد شو مليئة بالمفارقات العجيبة الصارخة التى تلفت الانظار : فمثلا كانت كل المدة التى قضاها بين جدران المدارس خمس سنوات ، وبالرغم من النقص الملحوظ فى تعليمه المدرسى فقد انعقد له لواء الزعامة للادب وصار أشهر كتاب عصره ٠٠ بل ومنح أعظم شرف يحلم به أى مؤلف فى العالم وهو جائزة نوبل للآداب !٠٠ **وكانت الجائزة تحمل له شيكا بمبلغ سبعة آلاف من الجنيهات ، ومع ذلك فقد رفض الجائزة لانه أصبح فى غنى عما تمنح من مال وشرف ٠٠ ولكنه رضى أخيرا ـ نزولا على رغبة الاتحاد الانجلو سويدى للآداب ـ أن يقبل هذا المبلغ الضخم الذى لم يضعه فى يده الا لحظة خاطفة ثم سلمه هدية منه للاتحاد المذكور !**

قيود الوظيفة ٠٠ والحنين الى الادب

◆ **وينتمى** والد برنارد شو الى عائلة ايرلندية طيبة ، ولكن أمه حرمت من ميراثها لان عمتها الغنية لم تكن راضية عن زواجها منه ! وساءت الاحوال الماليه بالاسرة فاضطر جورج برنارد أن يكسب العيش بعرق جبينه وهو فى الخامسة عشرة من عمره ٠ وقد ظل يشغل طيلة العام الاول وظيفة كاتب بأجر يقل عن جنيه واحد فى الشهر ! ومن سن السادسة عشرة الى العشرين اضطلع بمسئولية متجر كان يقوم بكل عمل فيه تقريبا مقابل خمسة وثلاثين شلنا فى الاسبوع ٠ لكنه كره الوظائف لانه كان قد تربى فى بيت تحرق فيه الشموع أمام محراب الفن والموسيقى والادب ٠ **وفى صغره عندما بلغ من العمر سبع سنوات فقط كان يقرأ شكسبير ، ويوحنا بنيان، وألف ليلة وليلة ، والكتاب المقدس ٠ واذ وصل الى الثانية عشرة كان متشبعا بكتابات بيرون ٠٠ ثم تعاقب على الحظوة باعجابه في السنوات التالية كل من : ديكنز ، وديماس ،**

وشيلى • وفى سن الثامنة عشرة قرأ ستندال ، وستوارت ميل، وهربرت سبنسر •• وكان لهؤلاء الكتاب الفطاحل فضل كبير في توسيع مداركه ، واطلاق العنان لخياله ، وتعبئة عقله بالمادة الفنية التى تنسج منها أحلام الشباب• ولذلك مرت به السنوات العجاف وهو مقيد بقيود الوظيفة فى خدمة رئيس من رجال المال دون أن يجد لذة في عمله ، لان قلبه كان يحن الى جنات الادب والفن والعلم والدين ••

العزيمة الجبارة تجعل المستحيل ممكنا !

◆ **وقبل** أن يحتفل بعيد ميلاده العشرين حدث نفسه قائلا: « ليس لى الا حياة واحدة لأحياها ولن أضيعها فى وظيفة كتابية » • وهكذا ما أن حل عام ١٨٧٦ حتى أحرق كل الكبارى التى تربطه بالوظيفة ثم رحل الى لندن حيث كانت أمه تكسب عيشها من اعطاء دروس فى الغناء • وهناك بدأ اشتغاله بالادب، الذى قدر له أن يدر عليه ثروة طائلة ويجعل له اسما مدويا فى مشارق الارض ومغاربها • لكنه سار فى طريق مملوء بأشواك الفشل مدة طويلة من الزمن ، فظل يكتب تسع سنين كاملة وهو لا يلقى نجاحا ولا يفوز بطائل • وبالرغم من ذلك فقد صمم على أن يكرس كل وقته للكتابة • ومن العادات التى انتهجها دون أن يحيد عنها بعد ذلك قيد أنملة ، أنه كان يكتب كل يوم خمس صفحات كاملة ، سواء وجد فى نفسه ميلا للكتابة أو لم يجد • ويقول برنارد شو فى هذا الصدد : « كانت بقايا من صفات التلمذة والوظيفة لا تزال عالقة بى ، حتى انى كنت اذا أنجزت الصفحات الخمس المقررة لليوم ، أقف عند هذا الحد ولو لم أكمل جملة مفيدة يحسن السكوت عليها! خمس صفحات وكفى ، لا أكثر ولا أقل »

وكتب فى هذه الاثناء خمس روايات كبيرة ـ كان عنوان احداها « الحب عند أهل الفن » ـ **وبعث بنسخة من كل رواية**

من هذه الروايات الخمس الى كل دار من دور النشر فى انجلترا وأمريكا ٠٠ لكن كل الروايات أعيـــدت اليه ! وكان أكثر الناشرين عطفا عليه يقول له انه يأمل أن يرى محاولته الثانية !

وظل الحال على هذا المنوال : يكتب كثيرا ولا تلقى كتبه الا الرفض ! ولم يكن هناك مطعن فى أسلوبه الادبى ، ولكن المشكلة كانت فى آرائه الجريئة ٠ وبلغ به الضيق كل مبلغ حتى انه كان يتعذر عليه أحيانا الحصول على طوابع البريد ليرسل بها كتابه الى دار للنشر ! وبلغ مجموع ايراده الذى جمعه من الكتابة خلال تلك السنوات التسع الاولى : ستة جنيهات فقط !

وعندما بليت ملابسه كان يسير فى شوارع لندن وهو يبذل جهدا كبيرا فى اخفاء الثقوب التى فى نعل حـــذائه أو فى سراويله !٠٠ ولكنه لم يعرف مع ذلك ألم الجوع ، والفضل فى ذلك يعود الى أمه التى كانت دائما تســتدين من الخباز والبدال لتصد عنه غائلته ٠٠ وفى كل هذه السنوات التسع التى قضاها فى الكتابة لم يكسب من قلمه الا خمسة جنيهات أجرا لكتابة مقال عن الطب كلفه به أحد المحامين لسبب غير مفهوم !٠٠ وفى مرة أخرى كسب جنيها واحدا لقيــامه بفرز الاصوات فى أيام الانتخابات !

كيف اذن كان شو ليهتدى الى سبل العيش ؟ انه يقول بكل صراحة ان أسرته كانت في أشد حالات العوز لكنه لم يستطع أن يمد لها يدا ، بل على النقيض من ذلك كانت عائلته تقدم له العون ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠٠ كما يعترف مضيفا الى ذلك : « اننى لم ألق بنفسى الى كفاح الحياة بل ألقيت بأمى الى هذا الكفاح المرير ! »

كفاح واحد وعشرين عاما ٠٠ من أجل امرأة !

◆ **وأخيرا** استطاع برنارد شو أن يقف على قدميه ويعول نفسه ، لا من الكتابة والتأليف بل من النقد المسرحى ٠ وكان أكبر نجاح مالى ظفر به من كتابة المسرحيات لا الروايات ٠٠

وحتى المسرحيات لم يكن النجاح حليفه فيها فى بادىء الامر ، فكل ما كتبه منها فى البداية كان نصيبه الفشل ٠٠ والواقع أنه ظل يكتب طيلة احدى وعشرين سنة ، حتى استطاع أخيرا أن يجمع من المال ما يكفيه لنفقات زواجه من فتاة موسرة ، دون أن يرى الناس فى اقدامه على هذه الخطوة أية مجازفة !

الخطيب الثائر ٠٠ كان فتى خجولا !

ولا يكاد العقل أن يصدق ان برنارد شو الذى كان له وجه كالصوان يستطيع به أن يقف أمام الجموع الحافلة لينـــدد بقوانين الزواج ، وينتقد النظم الدينية ، ويسخر من الاوضاع الديموقراطية ، والذى لم تسلم من لسانه كل التقاليد البشرية المرعية الجانب٠٠ **نقول انه أمر لا يصدقه العقل أن هذا الخطيب الجرىء كان يعانى كثيرا فى صباه من الخجل والحياء ومركب النقص ! ولكن ذلك هو الواقع ، فقد كان يقاسى الأمرين من خجله** : فمثلا كان يذهب فى شبابه لزيارة أصدقائه الساكنين على ضفاف نهر التيمس بلندن ٠ واسمعوا ما يقول شو نفسه وصفا لما كان يخالجه من مشاعر فى مثل تلك الظروف : «كنت أعانى عذابا نفسيا حادا بسبب الخجل ، وكثيرا ما كنت أذرع شاطىء النهر جيئة وذهابا مدة عشرين دقيقـــة أو أكثر حتى أستجمع قوتى وأقدم على طرق باب الصديق ! والحق يقـــال انه كان من السهل على أن أحجم عن مثل هذه الزيارات التى كانت تعذب نفسى عذابا أليما من مجرد التفكير فى القيام بها ، لولا أن هاتفا داخليا كان يدفعنى الى التغلب على هذا الجبن ان أردت أن أشق طريقى فى الحياة ٠ وأعتقد أن أقلية ضئيلة جدا من الناس تعانى مثل هذا الخجل الشديد الذى كنت أعانيه٠٠

كيف استطاع أن يقهر الخجل

◆ **وقد** كان برنارد شو حريصا كل الحرص على سلوكه فى المجتمع ، فعكف على دراسة كل كتاب يبحث فى أدب السلوك، لا سيما ما وجده من الكتب القيمة فى هذا الموضوع فى مكتبة

المتحف البريطانى . وكان أكثر الكتب نفعا له كتاب عنوانه « آداب السلوك عند المجتمع الصالح » . **لكنه اهتدى أخيرا الى أضمن وأفضل وأسرع وسيلة للتغلب على الخوف والجبن ، حين التحق بجمعية للمناظرة وتعلم كيف يخطب فى الاجتماعات العامة** .. وفى المرات القليلة الاولى التى وقف فيها خطيبا كان يلعب بعقول سامعيه وينتزع المديح من أفواههم ، حتى انهم كانوا يختارونه رئيسا للاجتماع القادم ! ولكن بقايا الخجل لم تزل متشبثة به ، فكان يوقع بامضائه على محاضر الجلسات بيد مرتعشة .. واذا لم يضع مذكرات أمامه وهو يخطب لم يكن يعرف ماذا يقول . واذا استعان بها لم يحسن قراءتها أمام الجمهور! وهكذا كان يطوى نفسه على ألم ممض والناس لا يلحظون ذلك عليه ، بل يرهفون السمع لما يقول ، كلما تلعثم ! وكانت له ارادة من حديد هدفها سحق الخجل ، ومن ثم عول على حضور كل اجتماع يطرح فيه موضوع ما على بساط البحث والمناقشة .. وكان دائما ينهض لابداء رأيه . وذات مساء ـ وكان له من العمر ستة وعشرون عاما ـ استمع الى المدعو هنرى جورج مؤلف كتاب « التقدم والفقر » وهو يلقى محاضرة فى الضريبة المباشرة .. فلم يكد يخرج من المكان حتى شرع فى دراسة الاقتصاد السياسى ، وأخذ يدعو بحرارة الى وجوب تأميم الاراضى . وعندما عرض رأيه على قادة الرأى ، نصحوه بالاطلاع على كتاب « رأس المال » لكارل ماركس ، قائلين انه ليس لاحد أن يجرؤ على التحدث فى نظرية الضريبة المباشرة ما لم يدرس كتاب ماركس فى رأس المال الى جانب كتاب هنرى جورج فى التقدم والفقر . **وقرأ شو كتاب ماركس الذى أحدث هزة عنيفة فى التاريخ ـ الكتاب الذى حرك الشعب الروسى نحو الثورة ! ـ ويعترف شو بتأثير هذا الكتاب على حياته فيقول : « ان كتاب (رأس المال) كان نقطة التحول فى حياتى . ولئن**

كنت قد اكتشفت فيما بعد أن آراءه الاقتصادية يعتورها الخطأ، الا أنه أضاء السبيل لى ، ومزق الحجب ، وفتح عينى على حقائق التاريخ ، وأعطانى ادراكا جديدا لتفهم الحضارة الانسانية ، وخلق لى غرضا ورسالة فى الحياة ٠٠ وصفوة القول أنه صنع منى انسانا ! »

أجل ! لقد بات صدر برنارد شو - بفضل هـــذا الكتاب - يشتعل بالنار ، نار العقيدة القوية الراسخة ٠٠ ولكن أيـــن الخجل ؟ لقدذهب الى غير رجعة ٠٠ لقد وجد شو كتابا ملأه بغيرة المجاهد فى حرب مقدســـة ، وجعله ينسى كل شىء عن نفسه ! صار لا يعبأ بشىء الا بالقضية التى ينافح عنها ٠ وظل اثنى عشر عاما يقف فى نواصى الشوارع ، أو فى الاجتماعات العامة ، وحتى فى الكنائس ، فى طول البلاد وعرضها ، يدعو الناس الى اعتناق الاشتراكية !٠٠ وكان يلاقى الشىء الكثير من الاذى والاضطهاد من غير المؤمنين بدعوته ، ولا يبالى مع ذلك الا بأن يقرع الحجة بالحجة ، سعيا الى نشر الدعوة ونجاحها٠٠ وهكذا صار بمرور الايام من أقدر الخطباء فى عصره ، وصارت تصله الدعوات المتلاحقة للخطابة ، فيتهافت الناس على سماعه٠٠ بل ان الاثرياء والرأسماليين كانوا يســـبقون طبقة العمال والكادحين الى قاعة الاجتماع ! واستغل أصـــحاب الصالات الكبيرة مقدرته الخطابية ، كى يجمعوا المال ٠٠ مع أنه لم يقبل أجرا على محاضراته ، وانما كان يجمع تبرعات من الحاضرين لنشر الدعوة التى آمن بها ٠٠

العانس ذات العينين الخضراوين

◆ **وفى** خلال عام ١٨٩٦ التقى بفتاة تدعى « شارلوت بين تاونشند » ، وكان هو فى الاربعين وهى عانس فى التاســعة والثلاثين من عمرها ، ووارثة لعقارات تدر عليها ايرادا ثابتا٠ وأخذت الايام تبتسم له بعد تجهم فأصاب نجاحا عظيما ، اذ

بلغت أرباحه فى عام واحد من مسرحية واحدة كانت تمثل فى أمريكا : عشرين ألفا من الجنيهات ! **وكانت العانس المذكورة قد سئمت حياة الترف وانضمت الى جماعة « الفابيان » ذات الاغراض الانسانية النبيلة ٠ وكان شو وقتئذ أكبر داعية للجماعة ، فأعجبت به شارلوت ٠٠ ونما الاعجاب الى حب ، لم تملك الا أن تصارحه به ٠٠ وكانت فى حبها له تبصره بعيوبه ، وتقول له أحيانا انه أكبر محب لذاته رأته عيناها !**

ومضى عامان وهو لا يحلم بالزواج منها ٠٠ وفى شهر مارس عام ١٨٩٨ رحلت الى مدينة روما لتدرس نظم البلديات المتبعة هناك ٠ وما أن وصلت الى روما حتى تلقت برقية تنبئها بأن برنارد مريض جدا وقد برحت به العلة وبلغت حد الخطورة على حياته ٠٠ فعادت فى الحال الى لندن حيث وجدت « شو »

قد أصيب بانهيار فى صحته بسبب الارهاق فى العمـــل · وأشفقت عليه حين رأت الحجرة الضيقة التى كان يقطنها ــ وقد صرح شو يومئذ بأن حجرته لا يقوى على تنظيفها غيرالديناميت! أو على حد تعبيره : « لو أن سبع فتيات وفى أيديهن سبع مكانس قمن بتنظيف هذا الكهف الذى أسكن فيه ، ومضين فى عملية الكنس والتنظيف مدة نصف قرن ، لما كان لعملهن أى أثر ! »

لمـــاذا تزوج ؟

وألحت عليه هذه الفتاة الغنية ذات العينين الخضراوين فى أن تنقله من مسكنه الى بيتها الريفى الجميل ، لكى تقوم عـلى العناية به · وأمام الحاحها لم يكن فى وسعه الا أن يرسلها لتشترى خاتما ووثيقة زواج !·· ويقول « شو » فى ذلك : « تزوجتها تحقيقا لغرض كنت من قبل أحسبه بعيد المنال ، وهو أن أجد شخصا أفكر فيه أكثر من تفكيرى فى نفسى ! »

وعاشا معا يرفرف عليهما علم السعادة الزوجية طوال خمسة وأربعين عاما ، الى أن توفيت زوجته فى الثانى عشر من شهر فبراير عام ١٩٤٣ · وقد ظن الناس أنه يكبرها بعشرين سنة ولذلك كانوا يتوقعون أن يرحل قبلها الى العالم الآخر · ولكن الفرق الحقيقى بين عمريهما كان أربعة شهور فقط !

ومع أن برنارد شو ولد فى عام ١٨٥٦ فانه كان يقول انه جد منشغل بالحياة بحيث لا يجد متسعا من الوقت للتفكير فى الموت ! وقد عمر طويلا فمات فى عام ١٩٥٠ وله من العمر أربعة وتسعون عاما · مات وان عاش اسمه بين الخالدين ·· ومن أقواله المأثورة فى هذا الصدد : « انى أحب الحيـــاة للحياة نفسها ·· وليست الحياة عندى شمعة قصيرة الاجل ، بل هى شعلة متوهجة ، أمسك بها ما دمت حيا ، ثم أسلمها للاجيال المقبلة على ما هى عليه من التوهج والتألق »

روكفيللر

حياته فى سطور

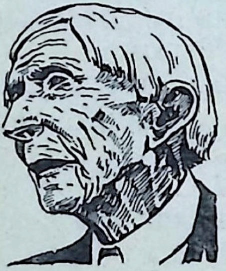

◆ « جون دافيدسون روكفللر » ، مالى امريكى كبير ، اشتهر بفعل الخير وتكريس امواله لاوجه البر

◆ اعظم من اكتسب المال ، واعظم من انفقه ، فى تاريخ العالم باسره !

◆ ولد فى ٨ يوليو سنة ١٨٣٩

◆ جمع ثروته الهائلة من استخراج البترول ، والتعدين ، وصناعة الفولاذ ، وغيرها من الصناعات

◆ كان يشغل مركزا كبيرا فى دنيا الاعمال وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ٠

◆ قدرت ثروته فى سنة ١٨٩٢ بما بين ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار و ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، فكان اول « بليونير » فى دنيا الدولار !

◆ من هباته ١٠٠ر٣٢٥ر٠٠٠ دولار لمؤسسة روكفلر ، و ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ لمعهد روكفلر للابحاث الطبية ، واكثر من ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ لعدة معاهد تربوية ٠

◆ كان من اقصى امانيه ان يعيش حتى يبلغ المائة ، ولكن تصلب شرايين قلبه ادى الى وفاته فى ٢٣ مايو سنة ١٩٣٧ وكان فى الثامنة والتسعين !

« كتابى »

العجائب الثلاث !

◆ **فى** حياة « جون د ٠ روكفللر » ثلاث عجائب خارقة : **أولها** أنه جمع من المال ما لعله يعد أضخم ثروة فى تاريخ

الانسانية ! وقد بدأ حياته العملية بفـــلاحة الارض وزراعة البطاطس تحت وهج الشمس المحـــرقة ، مقابل بنسين (٨ مليمات) فى الساعة !٠٠ **وفى تلك الايام لم يكن فى الولايات المتحدة بأسرها نصف « دستة » من الرجال الذين يملك الواحد منهم مائتى ألف جنيه !٠٠ لكن روكفللر برغم هذا جمـع من الثروة ما قدر بين العشرين والاربعين مليونا من الجنيهات !**

ومع ذلك فان أول فتاة أحبها رفضت الزواج منه ٠ ولماذا ؟ لان أمها أبت الموافقة على تزويجها من رجل مثل جون روكفللر ، لا يملك أية مؤهلات تبشر بمستقبل مرموق !

والعجيبة الثانية فى حياة روكفللر أنه تبرع بمبالغ من المال تفوق ما تبرع به أى انسان فى التاريخ !٠٠ فقد بلغ مجمـوع تبرعاته مائة وخمسين مليون جنيه ، **وهـــذا يعنى أنه تبرع بأكثر من ثلاثة شلنات مقابل كل دقيقة مرت منذ مولد المسيح (أى منذ ١٩٥٤ سنة)** ٠٠ أو ما يوازى مائة وخمسين جنيهـا مقابل كل يوم أشرقت شمسه منذ قاد موسى بنى اسرائيل عبر البحر الاحمر (أى منذ ٣٥٠٠ سنة) !

وثالثة العجائب أن روكفللر عاش حتى ســـن السابعـــة والتسعين ٠٠ برغم أنه تلقى آلاف الخطابات التى يهـــدده كاتبوها بالقتل ٠٠ (فقد كان من أكثر الرجال المكروهين فى أمريكا !) وقد اقتضى ذلك تعيين حراس مسلحين لحراســـته طيلة الليل والنهار !٠٠ كما أن روكفللر احتمل الارهاق العصبى والجسمانى المروع الذى آقترن به تأسيس وادارة مشروعاته الضخمة العديدة ٠٠ وهو الارهاق الذى قتل ثلاثة من أصحاب الملايين وكبار رجال الاعمال الامريكيين ، (هم : هاريمان ، ملك السكك الحديدية ٠٠ ثم وولورث ، ملك متاجـــر ألف صـــنف ٠٠ وباك ديوك ، ملك التبـغ) فى سن ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، على التوالى !٠٠ **لكن روكفللر جمع أكثر من ثروات هؤلاء**

الثلاثة مجتمعة ، ومع ذلك فقد عاش الى سن ٩٧ !٠٠ ولو علمت أنه لا يبلغ هذه السن غير ثلاثين رجلا من كل مليون ، ولايبلغها مستمتعا بجميع أسنانه الطبيعية سليمة ـ مثل روكفللر ـ غير واحد بين كل مائة مليون شخص ٠٠ لاعتبرت تعميره واحتفاظه بصحته الى هذه السن أعجوبة الاعاجيب !

سر طول العمر !

◆ **فماذا** اذن كان سر طول عمر روكفللر ؟ لعله قد ورث « الاستعداد » لطول العمر عن والديه وأجداده ٠٠ لكن الذى قوى من هذا «الاستعداد» طبيعة الرجل الهادئة التى كانت تحميه دائما من الانفعال والعجلة ٠٠ ثم حرصه على أخذ قسط اضافى من النوم أثناء النهار ٠٠ **من قبيل ذلك أنه حين كان يرأس شركة ستاندارد للبترول ، كان يحتفظ فى غرفة مكتبه**

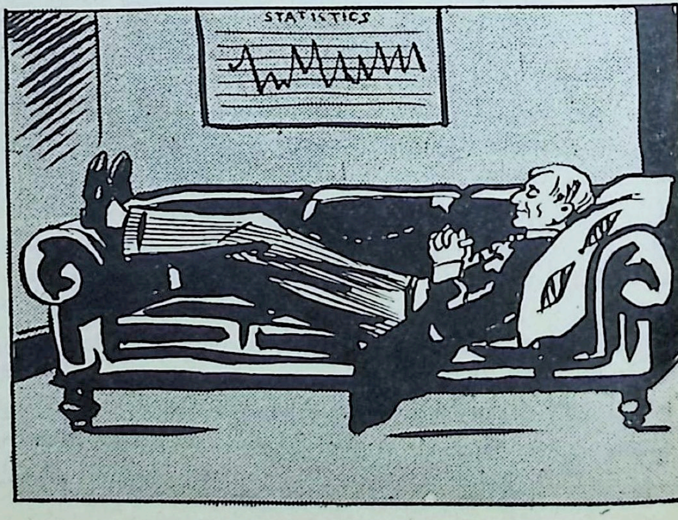

بكنبة عريضة يخلد عليها للنعاس لمدة نصف ساعة عند ظهر كل يوم . وقد استمر على هذه العادة حتى نهاية حياته .

وقد أصيب روكفللر فى سن الخامسة والخمسين بانهيار فى صحته ، فكان ذلك من أسعد الاحداث فى تاريخ الطب عامة .. فبسبب ذلك الانهيار صار الرجل ينفق الملايين من الجنيهات على البحوث الطبية . وما تزال « مؤسسة روكفللر » تنفق فى هذا الباب مليونين ونصف مليون من الدولارات كل عام !.. وحين تفشى وباء الكوليرا الرهيب فى الصين سنة ١٩٣٢ ، كانت كلية الطب التى أنشأتها تلك المؤسسة فى « بيكين » من أعظم الهيئات التى تولت مكافحة الوباء ، برغم عوائق الفقر والجهل السائدين هناك . ومن ناحية أخرى ، كان أطباء المؤسسة هم الذين اكتشفوا مصل الحمى الصفراء اللعينة ، وهم الذين شنوا الحملات الظافرة فى كل بقاع الارض ضد حمى الملاريا بدورها ..

أول أجر !

◆ وقد ربح جون روكفللر أول «شلن» فى حياته من مساعدته لأمه فى تربية الدواجن (الديكة) !.. وقد ظل حتى آخر حياته يحتفظ بقطيع من الديكة الاصيلة فى ضيعته البالغة مساحتها ثمانية آلاف فدان . احتفظ بها لتذكره بصور طفولته الغابرة !.. وقد كان يدخر كل فلس تعطيه اياه أمه ، مقابل تعهد دواجنها ، فى فنجان شاى مكسور يحتفظ به فوق رف المدفأة !

ثم عمل فى مزرعة بأجر قدره شلن ونصف فى اليوم ، فكان يدخر كل أجره حتى جمع مبلغ عشرة جنيهات ، أقرضه يومئذ لمخدومه بفائدة قدرها ٧ فى المائة . واذ ذاك اكتشف أن جنيهاته العشرة تدر عليه فى العام ما يوازى أجره عن عمله الشاق لمدة عشرة أيام !.. فقال « ومنذ اكتشفت هذه الحقيقة ،

اعتزمت أن أجعل المال عبدا لى ، لا أن أكون عبدا له ! »

وروكفلر لم يدلل ابنه ويفسده باغداق المال عليه ، بل كان لا يعطيه منه الا بمقدار حاجته ، على أن يؤدى فى مقابل ذلك عملا نافعا • ومن ذلك أنه جعل له نصف بنس (مليمين) عن كل ثغرة فى سياج الضيعة يكتشف حاجتها للاصلاح !•• فلما اكتشف الابن من هذه الثغرات ثلاث عشرة فى يوم واحد ، دفع له أبوه عنها ستة بنسات ونصف • ثم صار يدفع له سبعة بنسات ونصف عن كل ساعة يقضيها فى اصلاح تلك الثغرات •• كما اعتادت أمه أن تدفع له بنسين ونصف عن كل ساعة يتمرن فيها على عزف الكمان •!

ولم يدرس روكفللر يوما فى جامعة ، وانما التحق عقب دراسته « الثانوية » بمدرسة للتجارة لبضعة أشهر •• ثم زهد فى الدراسات العلمية وهو فى سن ١٦ • ومع ذلك فقد تبرع لجامعة شيكاغو بهبة قدرها عشرة ملايين جنيه !

تدين واستقامة •• مثاليان !

◆ **وكان** روكفللر على الدوام مواظبا على الذهاب الى الكنيسة ، وفى شبابه كان يتولى تدريس الدين فى اجتماعات مدارس الاحد • وكان متدينا ، مستقيما : لم يرقص قط •• ولا لعب القمار •• ولا دخل مسرحا •• ولا دخن سيجارة •• أو شرب كأسا من الخمر !•• وكان يصلى قبل تناول كل وجبة طعام ، ويقرأ فى الانجيل وكتب الصلوات كل يوم ••

وثروة روكفللر ما تزال تنمو بمعدل عشرين جنيها كل دقيقة ! وقد كانت كل أمنية الرجل أن يعيش حتى يبلغ المائة ، كى يتم قرنا كاملا •• وصرح بأنه لو قدر له أن يحتفل بعيد مولده المئوى (الذى كان موعده يوم ٨ يوليو سنة ١٩٣٩) ، فسوف يقيم الاحتفال المذكور فى الدار التى أنشأها بضيعته ، وسوف يقود بنفسه جوقة الموسيقى لتعزف لحنه المفضل : « عندما كنا ، أنت وأنا فى شبابنا يا (ماجى) ! »

سومرست موم

حياته فى سطور

◆ « وليم سومرست موم » ، اشهر روائى انجليزى معاصر

◆ ولد فى باريس فى سنة ١٨٧٤ ، حيث كان والده مستشارا قانونيا للسفارة البريطانية

◆ فقد امه فى الثامنة ، وإباه فى التاسعة ، فعاد الى انجلترا ليرعاه اهله

◆ درس الطب وتخرج فى سنة ١٨٩٢ ثم تدرب فى مستشفى سانت توماس ،ولكن هوايته الادبية كانت غالبة عليه ، فخرج من فترة التدريب باولى قصصه ٠٠ وكان فى الثالثة والعشرين

◆ انصرف الى الادب القصصى ، وعاش فى فقر احد عشر عاما ، حتى نجحت احدى مسرحياته فى سنة ١٩٠٧ ، فكان نجاحها بداية تالق نجمه ٠

◆ اضطر للاقامة بسويسرا خلال الحرب العالمية الاولى لاصابته بالسل ، فانتهز الفرصة ليكسب عيشه من العمل مع المخابرات السرية البريطانية ٠

◆ اصيب بانهيار عصبى بعد الحرب الاولى ، فاضطر للقيام بجولة فى بحار الجنوب ، عاد منها بمادة روائية وقصصية مفيدة ٠

◆ توفر على التاليف طيلة الثلاثين سنة الاخيرة ، فاستطاع ان يخلد اسمه بين كبار المؤلفين الروائيين فى الادب الانجليزى المعاصر

« كتابى »

المسرحية الثانية بعد « هملت » !

◆ **ما هى** ، فى اعتقادك ، أعظم مسرحية كتبت حتى يومنا هذا ؟.. عندما أخذت أصوات أبرز النقـــاد المسرحيين فى نيويورك ، لاختيار أعظم عشر مسرحيات ظهرت فى جميـــع العصور ، نالت « هملت » التى مضى على كتابتها ما يربو على ثلاثمائة سنة ، المكان الاول فى القائمة ..

أما الرواية الثانية فى الترتيب ، فلم تكن «ماكبث» .. أو « الملك لير » .. أو « تاجر البندقية » .. بل كانت « الامطار»!

نعم « الامطـــار » ، تلك الدراما العنيفة التى تدور حـــول صراع غريزة الجنس مع الدين ، وعراكهما بالسن والناب فى البحار الجنوبية .. وقد اقتبست عن قصة قصيرة لسومرست موم !

وقد ربح موم من هذه المسرحية أربعين ألف جنيه .. ومع ذلك فانه لم يستغرق فى كتابتها .. دقيقة واحدة !

واليك القصة ـ أو بالاحرى قصة القصة : كان موم قـــد كتب قصة قصيرة أطلق عليها « سادى تومسون » ، ثم لم يعد يفكر فيها بعد ذلك .. وذات ليلة ، كان أحـــد كتاب المسرح ـ ويدعى جون كولتون ـ يبيت فى ضيافته ، فطلب شيئا يقرأه ليستعين به على النوم . واذ ذاك أعطاه موم مسودة قصـــة « سادى تومسون » !

وافتتن كولتون بهذه القصة التى هزت مشاعره ، فنهض من الفراش وأخذ يذرع أرض الغرفة ، وهو يتصور القصة بخياله وقد وضعت فى قالب مسرحى ، فصارت دراما تستحق الخلود !

وما كاد ينبلج وجه الصـــبح ، حتى هرع كولتون الى موم صائحا به : « ان القصة التى أعطيتنى اياها لتعيننى على النعاس، قد أطارت النوم من جفنى . لقد قضيت الليلة بأكملها أفكر فى صلاحيتها لان تقتبس منها مسرحية هائلة ! »

لكن موم قابل الفكرة بفتور ، اذ لم تحرك له ساكنا ، وقال ساخرا : « مسرحية ؟! أى نعم ، لعلها تصلح لان تكون تمثيلية سقيمة ٠٠ وقد يستمر عرضها ـ اذا قدر لها النجاح ـ ستة أسابيع على الاكثر ، ولكنها ، والحق يقال ، لا تستحق عناء الاهتمام بها ! »

« الامطار » تمثل ٤١٥ ليلة متوالية !

◆ **لكن** ذلك لم يثبط من همة كولتون ، بل واصل جهوده حتى أتم اعداد القصة للمسرح وسماها « الامطار » ، ثم عرضها على المخرجين ، فرفضوها جميعا ، جازمين بفشلها !٠٠ وأخيرا قبلها واحد منهم ، هو « سام هاريس » ، قبلها خصيصا آخر الامر كى يسند بطولتها لممثلة ناشئة تدعى « جين ايجل » ! ٠٠ لكن ممول المسرح عارض فى ذلك طالبا اسناد الدور الى ممثلة مشهورة !

وأخيرا فازت جان ايجل بالدور ، ومثلت شخصية « سادى تومسون » بقـوة وحرارة عاطفية جعلتها أعجوبة الوسـط المسرحى فى برودواى !٠٠ **واستمرت الرواية تمثل فيمتلىء المسرح بأكمله بالنظارة طيلة أربعمـائة وخمس عشرة ليلة متوالية ! وفى كل عرض تزداد الجموع المتزاحمة التهـابا وحماسة !**

لقد كتب سومرست موم كتبا عديدة ممتازة منها : « أغلال الحب » ، و « القمر وستة بنسات » ، و « القناع الملون » ، عدا طائفة من المسرحيات الناجحة يربو عـددها على العشرين دراما ، لكنه لم يكتب التمثيلية التى فاقت شهرتها جميـع تمثيلياته !

ويعـد سومرست موم الآن من نوابغ عصره ، ومع ذلك فقد لا يعلم الكثيرون أن الفشل المالى ظل يلازمه طيلة الاحدى عشرة سنة الاولى من احترافه الكتابة ! ومن العجيب أن هـذا

الرجل الذى قدر له أن يربح من مؤلفاته ٢٠٠ ألف من الجنيهات، لم يزد ربحه خلال الاحدى عشرة سنة الاولى ـ من قصصه القصيرة والطويلة ـ على مائة جنيه سنويا ، بل اضطرته الفاقة أن يبيت أحيانا على الطوى ! ولطالما حاول أن يجد عملا كمحرر للمقالات الافتتاحية فى احدى الصحف ، بمرتب ثابت ، ولكنه لم يوفق الى ذلك . وقد صارحنى مرة بقوله : « لقد اضطررت الى مواصلة الكتابة لعدم استطاعتى الحصول على عمل ! »

ولامه أصدقاؤه على حماقته التى تجعله يحترف الكتابة رغم فشله المتكرر . ولما كان حديث عهد بالتخرج من كلية الطب ، فقد نصحوه بهجر القلم وترك القصص الخيالية جانبا ليمارس مهنة المبضع . لكن جهودهم فشلت فى أن تنال من عزيمته الماضية وتصميمه على تخليد اسمه بحروف ضخمة بارزة فى تاريخ الادب الانجليزى !

عندما يواتى الحظ !

◆ **ولقد** حدثنى بوب ريلى ، محرر باب « صدق أو لاتصدق» المشهور قائلا : « قد يعمل الانسان ويظل يكدح عشر سنوات وهو نكرة مهمل خامل الذكر ، ثم يلمع نجمه فجأة فى عشر دقائق ! »

وهذا القول يصدق كل الصدق على سومرست موم ، فقد واتاه الحظ آخر الامر من حيث لا يدرى . واليك كيف واتاه بفرصته الاولى: فشلت تمثيلية أحدهم فشلا ذريعا على أحد مسارح لندن ، فراح صاحب المسرح يبحث فى عجلة عن مسرحية يعرضها مؤقتا ، ريثما يعد المسرحية التالية على مهل .. ولم يكن يطمع فى تحفة رائعة ، بل كان أقصى ما يؤمل فيه أن يجد أية رواية متوسطة الجودة يقدمها لرواد مسرحه . وفيما هو يعبث بمحتويات أدراج مكتبه ويستعرض الروايات المهملة التى تزخر بها ، وقعت فى يده رواية لسومرست موم عنوانها

«ليدى فردريك» ، كان قد مضى على وجودها فى الدرج عام كامل . ومع أنه كان قد قرأها من قبل ولم ترق فى عينيه ، لكنه رآها فى هذه المرة تصلح لان تمثل بصفة مؤقتة ليسد بها الفراغ الشاغر لبضعة أسابيع !

وأخرجها بالفعل .. وهنا حدثت المعجزة ! فقد ظفرت «ليدى فردريك » بنجاح هائل ، وباتت حديث أهل لندن جميعا . بل انها سحرت لب أهل انجلترا حيث أثارت من تعليقات المعجبين ما لم تثره مسرحية أخرى منذ عهد روايات أوسكار وايلد ذات الحوار الخلاب !

وللحال تهافت مديرو المسارح جميعا فى لندن على سومرست موم يلتمسون رواياته .. فصار صاحبنا ينبش مخطوطاته القديمة وأوراقه المهملة حتى أخرج ثلاث مسرحيات مثلت على ثلاثة مسارح مختلفة فى آن واحد ، واكتظت المقاعد عن آخرها بالنظارة ، بل توافد أفراد الاسرة المالكة فى فيض لا ينقطع ، كما تهافت الناشرون يتزاحمون على طبع مؤلفات هذا النابغة الفذ . **وهبط الحظ على العبقرى الذى كان مغمورا ، وسلطت عليه الاضواء فجأة ، فبات موضع حديث الناس جميعا ، وانهالت عليه رقاع الدعوى من أرفع طبقات المجتمع . وهكذا بعد أحد عشر عاما قضاها سومرست موم فى زاوية النسيان ، وجد نفسه فجأة موضع التنافس وقبلة الانظار فى صالونات « ماى فير » الراقية ، التى تهافت روادها على شرب نخبه !**

تعويذة ضد « عين الحسود ! »

◆ **وموم** - كما صرح لى - لا يكتب حرفا بعد الساعة الواحدة ظهرا ، اذ أن قريحته يسودها الخمول بعد الظهيرة .. ومكانه المفضل للكتابة « سقيفة » مظللة ، أشبه بمظلات الكروم ، أقامها على سطح الفيلا التى يقطنها فى ساحل الرفييرا ، وقد

شيدها على الطراز المراكشى !٠٠ ومن عادة موم دائما أن يدخن غليونه ويقرأ الفلسفة لمدة ساعة قبل أن يشرع فى الكتابة !

ومنذ فراره من الغزو الالمانى الذى اجتاح فرنسا ، انتقل موم الى مزرعة بولاية « كارولينا الجنوبية » بالولايات المتحدة ، حيث أقام مواصلا مجهوده الادبى طوال سنوات الحرب ٠٠

ورغم زعمه أنه لا يؤمن بالخرافات ، فقد أفضى الى بأنه يضع شعار « عين الحسود » على جميع مؤلفاته ، بل يحتفظ به على اللوحة التى تحمل اسم العائلة ، وعلى أطباق مائدته ، وأدوات مكتبه ، وأوراق اللعب التى يستعملها (الكوتشينه) ٠٠ كما أنه حفر العلامة ذاتها على رف مدفأته ٠٠ بل وعلى مدخل داره !

لكننى كلما سألته عما اذا كان يؤمن حقيقة بصحة هذه المعتقدات ، ابتسم ولم يجب !

ايزنهاور

حياته فى سطور

◆ « دوايت دافيد ايزنهاور » رئيس جمهورية الولايات المتحدة

◆ ولد فى دنيسون ـ بولاية تكساس ـ فى سنة ١٨٩١

◆ تخرج فى الكلية العسكرية الامريكية بـ «ويست بوينت» فى سنة ١٩١٥ بتفوق، وعين فى احد معسكرات التدريب فى الحرب العالمية الاولى .

◆ عين رئيس اركان حرب الجنرال ماك ارثر فى واشنطن فى سنة ١٩٣٠ ، وساعد على تركيز وتنظيم الاشراف على الطيران الحربى .

◆ بعد خمسة ايام من وقوع حادث بيرل هاربور ـ الذى كان بداية الحرب بين اليابان وأمريكا ، وبداية دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية ـ عين رئيسا لادارة العمليات الحربية الامريكية

◆ فى يونيو سنة ١٩٤٢ عين قائدا للقوات الامريكية جميعا فى الجبهة الاوربية . وفى ١١ فبراير سنة ١٩٤٣ عين قائدا اعلى لقوات الحلفاء فى شمال افريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط ، فقاد الحلفاء الى النصر ، وطرد قوات المحور من تونس وصقلية

◆ ثم عين قائدا للحلفاء فى اوربا الغربية فحرر فرنسا وقاد القوات الغربية لغزو المانيا

◆ فى سنة ١٩٤٨ اعتزل الخدمة العسكرية ليرأس جامعة كولومبيا

◆ وفى سنة ١٩٥٢ فاز برئاسة الجمهورية الامريكية

« كتابى »

شغوف بتاريخ الحروب !

◆ **فى** مطلع هذا القرن ، كان طالب ثانوى يتردد على مكاتب مجلة اسبوعية فى مدينة (كانساس) اسمها « أبيلين نيوز »، فاستعار يوما من رئيس التحرير كتابا يضم بين دفتيه سيرة رجل من أعظم رجال الحروب فى كل الاجيال ، هو « هانيبال » ٠٠ وانكب الغلام على قراءة سيرة ذلك البطل المغوار الذى استطاع أن يعبر جبال الالب على ظهور الفيلة ، وظل يحارب ايطاليا مدة خمسة عشر عاما دون أن تفتر له عزيمة ! **وخرج الغلام من مطالعة سيرة هانيبال وقد تملكه شغف شديد بقراءة تاريخ الحروب ، فلم يلبث أن قرأ كتاب « انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية » لجيبون ٠٠ ثم قضى شهورا طوالا ينقب فى كتب التاريخ الامريكى ويقرأ تراجم مشاهير الابطال ، أمثال « لى » و « جرانت » و « واشنطون » ٠٠ الخ ــ واشتد به الشغف بمطالعة كتب التاريخ ، ولا سيما تاريخ الحروب ، الى درجة أن تنبأ له الكتاب السنوى الذى تصدره مدرسته فى ختام العام المدرسى بأن « هذا الغلام سيكون أستاذا للتاريخ فى جامعة ييل ! » ٠٠ لكن النبوءة انحرفت قليلا عن هدفها ، فلم يعلم صاحبنا التاريخ فى جامعة ييل ، وانما صنع التاريخ الذى يضطلع آخرون بتعليمه فى جامعة ييل نفسها** ! وفى أعناقنا أمانة تقتضينا أن نعترف بأن التاريخ الذى صنعه ، أعطر ذكرا وأبقى أثرا مما صنع هانيبال وما معه من قطعان الفيلة !

والغلام الذى نعنيه هو « دوايت دافيد ايزنهاور » ــ أو « أيك » كما يطيب لاصدقائه أن يدعوه !

نعم ، فان هذا الشاب المحب للسلام ، ربيب حقول القمح بولاية كنساس ، كانت الاقدار تدخره كى يقود الجيوش التى قررت مصير ثلاثمائة مليون نفس فى أوروبا الغربية !

القرار الخطير يتم فى هدوء !

◆ **كانت** الساعة الرابعة من صباح اليوم الخامس من شهر يونيو سنة ١٩٤٤ حين قرر الجنرال ايزنهاور غزو أوروبا فى اليوم التالى ! وقد اتخذ هذا القرار فى بيت ريفى جميل ببلاد الانجليز بعد حديث دام نصف ساعة مع رؤساء القوات الجوية والبحرية والبرية وخبراء الارصاد ! وقبل ذلك التاريخ بيومين كان الجنرال ايزنهاور قد أصدر أمره بالشروع فى الغزو فورا ، ولكن الطقس تغير فاضطر الى الغاء ذلك القرار ٠ ولكن ما أن بدت بوادر التحسن حتى أصدر قراره الخطير ، فقد خشى أن يضعف أى تأجيل آخر الروح المعنوية العالية فى الجيوش التى كانت على تمام الاهبة والتحفز !

وبعد أن درس ايزنهاور ـ كعادته ـ كل الحقائق ، ووازن بينها ، قال : « أمام هذه العوامل لا يسعنا الا أن نسير لتنفيذ خطتنا » ٠٠ وبهذه العبارة الهادئة التى نطق بها بلا زهو أو خيلاء ، سير أعظم حملة بر مائية عرفها تاريخ الحروب الطويل المخضب بالدماء !٠٠ **ومن كان يظن أن أيك ايزنهــــاور الذى اعتاد أن يغسل الاطباق ويحلب الابقار ، وهو فتى يافع فى كنساس ، يستطيع أن يترك فى تاريخ البشرية أثرا قويا لم يكن فى ميسور رجل واحد أن يقوم به فى كل عصور التاريخ؟! ٠٠ لقد ألقى على كاهله أن يكون الرئيس الاعلى لكل قــوات الجبهة الغربية المتحدة : بما فيها المشاة ، والمدفعية ، وسلاح المهندسين ، والبحــرية ، وقاذفات القنابل التى تزأر فوق رؤوسهم ! وبهذه الاوضاع كان عليه أن يقود جيشا هو أعظم بكثير من جيوش نابليون ويوليوس قيصر وهانيبال وشارلمان مجتمعة معا ! كما كان مسئولا فى الوقت نفسه عن قيــادة اسطول هو أضخم من كل أساطيل نلســون وهوكنز ودريك وجون بول جونس والاميرال ديوى متحدة معا !** وفوق هــذا

الفتى الذى كان يحلب الابقار فى «كنساس» !

وذاك وضعت على عاتقه قيادة أكبر قوة جوية يحلم بها قائد ٠٠ وتسلم ايزنهاور مقاليد هذه المسئوليات الجسام جميعا ، بهدوء الواثق المطمئن !٠٠ وذلك بفضل سنى التدريب الطويلة التى سبقتها ٠٠ ثم بفضل الاستعداد الكامل الشامل الذى حسب فيه حساب كافة التفصيلات، والاحاطة التى تفوق التصور بكل فنون الحرب ومعدات القتال !

شعار النجاح

◆ **ويلتزم** ايزنهاور شعارا للنجاح الحربى غاية فى البساطة ، وهو : « لتكن خطتك مفصلة أدق تفصيل ، وبعدئذ لتضرب ضربة حاسمة ، كالموت نفسه ! » ٠٠ وقد اختار مستشاريه أيضا من طرازه ، لا تفوتهم فى رسم خططهم شاردة ولا واردة ٠٠ فمثلا احتاج الامر فى معركة غزو أوروبا الى شرح الدور الذى تقوم به البحرية في عملية الغزو ، في نحو ٨٠٠

صفحة كبرى مكتوبة على الآلة الكاتبة !٠٠ ووزنت المجموعة الكاملة لاوامر البحـــرية مع الخرائط اللازمة للغزو فبلغت ٣٠٠ رطل !

على أن المحارب الجبار الذى كسر شوكة هتلر فى معركة أوربا ، كان فى شبابه أيضا ـ منذ ٢٨ سنة ـ لاعبا جبارا لكرة القدم ، يمزق شمل الملعب كما تمزق الاعاصير كل شيء فى طريقها ، حتى لقبوه ب « اعصار كنساس » ! وخلدوا اسمه فى هذا المضمار بنقشه على لوحة من البرونز فى الكلية الحربية المشهورة « وست بوينت » ٠٠ لكن اصابته بكسر فى ركبته أثناء اللعب ذات يوم ، قضى عليه بتطليق ذلك الميدان من ميادين تفوقه ،الى غير رجعة !

ثقة بالاجماع

◆ **وعندما** فكر الحلفاء فى اختيار الرئيس الاعلى للقوات المحاربة ، كان ايزنهاور الشخص الوحيد الذى اتفقت عليـــه الآراء بالاجماع! فهو لم يظفر بموافقة روزفلت وتشرشل فحسب، بل وأيد ستالين نفسه فكرة تعيينه ٠ وكان ايزنهاور يزين مكتبه فى لندن بخطاب شخصى من روزفلت الى ستالين يؤكد فيه ان ايزنهاور هو الذى وقع عليه الاختيار لقيـــادة القوات الامريكية لغزو أوروبا ٠٠

ومع هذه الثقة الغالية التى أولاه اياها « الثلاثة الكبار » ، فانه حينما عزم على الالتحاق بالكلية الحربية فزعت أسرته لهذا النبأ ! فقد كانت تنتمى الى مذهب دينى يعارض الحروب ، وقد تأصل فيها هذا الاعتقاد من أجيال سحيقة فى القدم ٠ وهذا المذهب الدينى الذى كان أهله ينتسبون اليه هو «اخوة المسيح المتحدون » ٠٠ وقد كان جد ايزنهاور قسيسا لهذه الكنيسة يلقى مواعظه فيها باللغة الالمانية ٠ وأما أبوه وأمه فقد التقيا لاول مرة وهما يتلقيان العلم فى كلية صـــغيرة تديرها تلك

الجماعة ٠٠ ولذلك يمكنك تصور مقـــدار الاستياء الذى عم أفراد الاسرة حينما علموا أن ايزنهاور يبغى أن يكون جنديا !٠٠ لكن ايزنهاور صمم على المضى فى طريقه ، ولم تستطع توسلات أبويه أن تثنيه عما عقد العزم عليه ! وقد أراد فى بادىء الامر أن يصير ضابطا بحريا ، مثل صديق صباه « اثيريت هازلت » وكاد يتم له ما أراد ، لولا سبب تافه : فقد فاته أن يدخـــل الامتحان قبل سن العشرين فضاعت عليه الفرصة ! وعندئذ اتجهت نيته الى الكلية الحربية ، فدخلها ٠٠ وبعد أن انقضت أيام الدراسة ، ارتقى فى رتب الجيش بسرعة مذهلة ٠ ويعزى ذلك الى معرفته ، وتدريبه ، واتزانه ، وأخلاقه ، ومقدرته على الانجاز ، وفوق كل اعتبار آخر : لقدرته على قيادة الرجال ! وقد عرف أحدهم القائد بأنه الرجل الذى يستطيع أن يستميل الناس الى جانبه من غير وعد أو وعيـــد ! وقد كان الجنرال ايزنهاور فى طليعة هذا الطراز من القادة ٠ فان كل من عرفه كان يتعلق به، ويدعوه بقائد الجيش المفضل فقد برزت فيه تلك الصفة التى لا تعريف لها ، والتى يسمونها بالشخصية !

شهادة زوجته ٠٠ وشهادة تشرشل !

◆ **واسمعوا** شهادة زوجته عنه ـ وما ينبئك مثل خبير ! ـ فهى تقول عنه : « **ان له أعظم تقطيبة فاتنة رأيتها فى حياتى !** » **ثم تتابع شهادتها فتضيف:«انايك محدث بارع ، فجعبته دائما ممتلئة ، وهو يستطيع أن يحدثك عن سعة اطلاع فى كل شىء تقريبا ٠ وانه لأمر يطرب القلب أن تسمعه محدثا ٠ لقد عشت معه سنين كثيرة وهو لا يزال يســـتهوينى ويأسر قلبى** » وان شهادة كهذه صادرة من قلب زوجة ، لأندر من الياقوت الاحمر !

وقد أعجب ايزنهاور يوما برجل من سكان شمال افريقيا فقال له « يعجبني فيك يا أخي انك لست قفـازا الى المجـد »

وقد ترامت هذه الكلمة الى أسماع تشرشل فقالها لايزنهاور بنصها وفصها : « يعجبنى فيك يا آيك انك لست قفازا الى المجد » ، وقد صدق ! فان ايزنهاور لا يقفز اطلاقا الى المجد ، ولا يمشى مشية مختال فخور ، ولا يقبـــل مديحا ليس أهلا له ـ فهو و « ابراهام لنكولن » سيان فى عزوفهما عن المجـــد الشخصى ـ وهو ينفر من تزيين صدره بالاوسمة . وقليلا مانراه يلبس النياشين الحربية .. وفى أثناء اقامته بانجلترا كان حريصا على الوقت كل الحرص ، فكان يعتذر عن حضـــور الحفلات الاجتماعية الهامة . وكان يلح على الناس أن يعطوا مقر عمله اسمه الصحيح وهو « رئاسة القوات المتحـــدة » وليس « رئاسة ايزنهاور » كما درجوا على تسميتها ..

لا يشرب الخمر .. صيانة لاسراره !

◆ و « **أيك** » لا يذوق الخمر بتاتا ، وحجته فى الامتناع هى أن رأسه ملىء بالاسرار التى لا يأتمن لسانه عليها اذا سكر ! وفى زمن السلم يحب أن يتسلى بلعبتى البريدج والبوكر ، وهو الكاسب فى أغلب الحالات ، سيما اذا لعب البوكر ، لانه خبير بدقائقها .. فضلا عن أنه يجيد قراءة الطبيعة البشرية

أما عن معرفته بتاريخ الحروب فهذه ظاهرة تلفت الانظار .. سأله أحدهم وهو يقود الحملة فى شمال افريقيا عن حملة هانيبال فى ايطاليا، فأدهش ايزنهاور سامعيه اذ ظل مدة أربعين دقيقة يشرح حملة هانيبال بالتفصيل . وقد زعم أحد رجال ايزنهاور أن الذاكرة قد لا تسعفه فى سرد التفاصيل الكثيرة لحروب دارت رحاها قبل ميلاد المسيح بمائتى عام ، فأراد أن يراجعه فى بعض الحقائق .. ولكنه شهد أخيرا بأن ايزنهاور كان على صواب فى كل ما ذكر . ويرجع هذا الاطلاع الواسع الى أنه منذ تخرجه فى الكلية الحربية وهو يقضى معظم أوقات فراغه فى دراسة التاريخ الحربى والمشاكل الحربية

وهو قارىء سريع . وقد روى لى ابنه أنه فى زمن السلام

كان يقرأ فى ليلة واحدة كومة كبيرة من المجلات القصصية ٠ ولكن عندما وضعت على كاهله أعباء القيادة فى أوروبا ، طار الى انجلترا ولم يأخذ معه الا كتابا واحدا ، هو الكتاب المقدس !

يطهو الطعام لزوجته !

◆ **وهو** فى العادة يعمل من ستة عشر الى ثمانية عشر ساعة يوميا ــ اذ يقول انه تكفيه للنوم خمس ساعات فقط ــ ويستيقظ عند بزوغ الفجر ٠ وليس هذا بالشىء الجديد فى حياته ، فمنذ صباه فى ولاية كنساس كان من عادته أن ينهض من النوم فى منتصف الساعة الخامسة صباحا ، فى أبرد أيام الشتاء ، وقت أن تنخفض الحرارة الى عشرين درجة تحت الصفر ٠٠ ليشعل نارا فى الموقد ، وليطهو طعام الافطار للاسرة !

والحديث عن طهو الطعام يذكرنا بأن الجنرال ايزنهاور ذواقة للطعام الجيد ٠٠ فقد كان لأمه ستة أبناء ، ولم ترزق بنتا واحدة ، فكان لزاما عليه أن يعينها فى شئون الطعام ٠ **وحدثنى أحد أشقائه بأن أباه كان فخورا به لاتقانه فنون الطعام ، وخصوصا « سلطة » البطاطس وحساء الخضر ٠ وهو يقول انه يستطيع أن يصنع أعظم حساء للخضر فى العالم !** والمعروف عنه أنه يقصى زوجته خارج المطبخ أحيانا ، ويطهو لها الطعام ، ويرتب المائدة ، ثم يغسل الاطباق بعد ذلك ٠٠ ولا عجب أن تقول فيه زوجته انه أبرع من رأته عيناها !

◆ **على** أن « ايك » ايزنهاور لم يصل الى أعلى الدرجات العلمية وهو طالب بالكلية الحربية ، وانما كان ترتيبه الحادى والستين فى فرقته التى كان مجموع طلابها مائة وأربعة وستين! ولكنه نال ما هو أعظم قدرا من الدرجات العالية : نال البصيرة النيرة التى ترى المستقبل المجهول ، واستطاع أن يرى أن حربا عالمية ثانية آتية لا محالة ، وأكثر من الحديث عنها ــ حتى لقبوه بـ « ايك المتشائم » ــ واستطاع أن يرى أيضا أن الطائرة والدبابة ستحدثان انقلابا فى العمليات الحربية ٠ وأراد أن

ينضم الى سلاح الطيران ، ولكن عروسه عارضته ٠٠ فاتجه الى الدبابات ، ونظم أول ســلاح للدبابات عرفه جيش الولايات المتحدة ! ثم رقى ـ فى عيد ميلاده الثامن والعشرين ـ الى رتبة قائمقام سلاح الدبابات ٠٠ وكان يتأهب للسفر الى أوربا على رأس فرقة الدبابات فى اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٨ ٠٠ واذا بالحرب تنتهى فجأة !

وثمـــة حقيقة لابد من اظهارها عن الجنرال آيزنهـاور : فمع انه قاد أعظم مجموعة عرفها التاريخ من قوات البر والبحر والجو ، الا أنه شخصيا لم يدخل ساحة القتال ، ولو على رأس فرقة عسكرية واحدة ! بل ان مئات الالوف من أقل الجنود رتبة يفوقونه فى الخبرة العملية فى ميادين القتال ! وانما انحصرت مهمته فى تنسيق ، وتوحيد ، وتوجيه قادة الجيوش والاساطيل الذين كان عليهم أن يقوموا بتمثيل « رواية الحرب » !

« أيك » بالرغم من أمه !

◆ **والاسم** الكامل لايزنهاور هو « دوايت دافيد ايزنهاور » ٠٠ وقد كانت أمه تعترض بشدة على تسميته « أيك » ، بل انها نسيت أنه يعرف وينادى بهذا الاســم !٠٠ وذات يوم بعثت زوجة ايزنهاور خطابا الى حماتها تقول لها فيه فى سياق الحديث عن رحلتنا الممتعة مع أيك : « وآمل أن أمكث واياه قليلا فى (أبيلين) » ٠٠ فردت عليها حماتها تقول انه يسعدها كثيرا أن تراها ولكنها أرادت أن تعرف من يكون « أيك » هذا الذى يرافقها فى السفر !

ولا تزال أم ايزنهاور ، وقد تقدمت بها الايام ، تقطن فى «أبيلين» ٠٠ وذات يوم جلست تطل من نافذتها على الفتيـــان وهم يمشون مشية عسكرية فى الشوارع ، فتمتمت لصديقة جالسة الى جوارها : « ان لى أنا أيضا فتى فى الجيش »

أجل يا أم ايزنهاور ! ان لك أيضا فتى فى الجيش ٠٠ و أى فتى !

الامبراطورة جوزيفين

حياتها فى سطور

◆ « مارى روز جوزفين تاشيه دى لاباجيرى » ، الزوجة الاولى لنابليون بونابرت

◆ ولدت فى ٢٣ يونيو سنة ١٧٦٣ بجزيرة مارتينيك

◆ تزوجت فى سنة ١٧٧٩من «فيكونت الكسندر بوهارنيه » وانجبت منه ولدا وبنتا .

◆ تالق نجمها فى المجتمع الباريسى ، حتىاذا أعدم زوجها أثناء الثورةالفرنسية ، كادت تعانى شظف العيش .. ولكن بول بارا ومدام تاليان كانا يعطفان عليها ، فجعلا منها عنصرا لا غنى عنه فى مجتمعات باريس

◆ التقت بنابليون بونابرت فى أوائل شهرته فى سنة ١٧٩٥، فما لبثا ان تزوجا فى ٨ مارس سنة ١٧٩٦ زواجا مدنيا

◆ شاعت الاقاويل عن تعلقها بضابط اثناء غياب نابليون فىمصر فقرر هذا عند عودته ان يطلقها ، ولكن دموعها الانت عزيمته . غير ان سلاح الطلاق ظل مشهرا فوق راسها بينما كان نابليون يرقى سلم المجد ، لا سيما وان شقيقاته كن يناصبنها العداء !

◆ عندما توج نابليون امبراطورا فى ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ حملته على اعادة قرانهما وفقا للطقوس الدينية ، وتوجت معه امبراطورة . على أن هذا لم يصده عن أن يطلقها عقب الحملة التى قام بها فى سنة ١٨٠٩ ، متعللا برغبته فى انجاب ولد يرث عرشه

◆ عاشت بعد ذلك فى شبه عزلة ، وكان نابليون يلجأ الى مشورتها حتى ماتت سنة ١٨١٤

« كتابى »

تعرف كيف تسوس الرجال !

◆ **هذه** قصة فتاة فقيرة ولدت فى قرية صيد فى جزر الهند الغربية ، وعاشت فى بضع غرف عارية قذرة فوق معمل لتكرير السكر !٠٠ وهى فى الوقت نفسه قصة فتاة تزوجت من أشهر رجل فى تاريخ العالم قاطبة !

كان اسمها « مارى جوزيف روز تاشر لاباجيرى » ، ولكنها تعرف عادة باسم « جوزيفين » !

كانت جوزيفين تكبر نابليون بست سنوات ٠ وعندما تقابلا لاول مرة كانت هى فى الثالثة والثلاثين وهو فى السابعة والعشرين ٠ ولم تكن جميلة ، بل كانت أسنانها على الاخص قبيحة المنظر ٠٠ وكان لها ولدان كبيران ٠٠ وفوق هذا وذاك كانت مدينة ، بل غارقة فى الديون - حتى لقد كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع فى قبضة البوليس !

ومن ثم فينبغى أن نسلم بأنها بدأت حياتها ومجموعة من الصعاب القاسية تعترضها ٠ ولكن كانت فيها صفة واحدة هائلة تعوضها عما ينقصها : كانت تعرف كيف تسوس الرجال ٠٠ فقد كانت أرملة ، مرت بالكثير من التجارب والاختبارات !

وعندما قطع الثوار الفرنسيون رأس زوجها الاول ، وجدت جوزيفين نفسها بغير عائل ، ففعلت ما تفعله كل الارامل العاقلات : بدأت تبحث عن زوج !

وأخبرها أحد أصدقائها عن نابليون ، ولم يكن قد ذاع صيته بعد ، ولا كان يملك شيئا ٠٠ بل كان عائدا لتوه من احدى المعارك الحربية ٠ والغنيمة الوحيدة التى جلبها معه من المعركة كانت مرضا جلديا لعينا ، اضطر كى يتخلص منه الى أن يقص شعر رأسه !

ولكن أصدقاء جوزيفين أخبروها بأن نابليون ينتظره مستقبل باسم ٠٠ ولما كانت جوزفين امرأة من البشر ، فقد سعت الى رؤيته !

ولكن كيف تتمكن من رؤيته ؟ لقد اصطنعت حيلة بارعة كى تصل الى بغيتها : أرسلت ابنها الصغير ـ وكان يبلغ من العمر اثنى عشر عاما ـ ليسأل نابليون عما اذا كان يستطيع أن يسترد سيف والده المتوفى (والد الغلام) ؟

وطبعا أجاب نابليون بالايجاب ٠٠ **وفي اليوم التالى تزينت جوزفين وذهبت ، والدموع فى عينيها ، لتشكر نابليـون على عطفه وأريحيته !٠٠ فتركت شخصيتها وجاذبيتها الفائقة أثرا بالغا فى نفس نابليون ، الذى أدرك أنهـــا تفوقه من حيث المستوى الاجتماعى ٠٠ ومن ثم فقد أحس بالزهو يملأ أعطافه حين دعته لتناول الشاى فى بيتها !٠٠** وعنـدما لبى الدعوة أرضت غروره مرة أخرى بقولها انها تتنبأ له بأنه سوف يصبح من أعظم قواد التاريخ !٠٠ فلم تنقض على ذلك اللقاء ثلاثة أشهر حتى أعلنت خطبتهما !

يتركها تنتظره ليلة الزواج ساعتين !

◆ **وكانت** عند نابليون نزعة متأصلة للمحافظة على مواعيده، بل لقد كان شعاره الذى يحرص عليه كل الحرص أن « الوقت من ذهب » ٠ ومن مأثور أقواله فى هذا الصدد : « قد أفقـــد المعارك ، ولكن أحدا لن يرانى أفقد الدقائق ! »

٠٠ ومع ذلك فقد تأخر عن موعد زواجه ساعتين ! وخلال فترة الانتظار الطويلة بلغ التعب من موثق العقود الذى جاء ليعقد القران انه أخذ يتثاءب ويغالب النوم ٠٠ لكن النعاس غلبه فى النهاية ، فنام قبل أن يصل نابليون !

ولم تمض على الزواج ثمان وأربعون ســـاعة حتى انطلق نابليون ليشن حربا جديدة فى ايطاليا ٠٠ وكان جيشه فى تلك الآونة جائعا ، بالى الثياب ، ومع ذلك فقد أبلى أحسن البلاء فى معركة سرت أنباؤها فى القارة مسرى البرق ٠٠ فلم تكن أوربا قد رأت قتالا مثل ذاك فى مدى ألف عام !

رسائل غرام ملتهبة ٠٠ كل يوم !

◆ **ولكن** الذى يثير الدهشة حقا انه حتى فى تلك الظروف التاريخية العصيبة وجد نابليون الوقت والفرصة كى يكتب الى جوزفين رسالة كل يوم ٠٠ وأية رسائل ؟ رسائل حارة ، ملتهبة ، عاصفة ! (وقد بيعت ثمان من هذه الرسائل الغرامية فى سنة ١٩٣٣ فى مزاد علنى بمدينة لندن مقابل أربعة آلاف جنيه !) ٠٠ ولقد أتيح لى أن أقرأ بعض هذه الرسائل ، فخرجت من مطالعتها باعتقاد أنها تساوى كل هذا المبلغ ـ حتى فى هذه الايام ـ واليك نموذجا منها :

« عزيزتى جوزفين ٠٠

« لقد ألهمتنى حبا سلبنى عقلى ، حتى لقد بت لا أستطيع أن آكل ، أو أنام ، أو أعنى بأصدقائى ، أو أعنى بالمجد ٠٠ فما غدت للنصر قيمة عندى الا فى كونه يثلج صدرك ٠٠ ولولا ذلك لتركت الجيش وهرعت عائدا الى باريس لألقى بنفسى عند قدميك ٠٠

« لقد ألهمتنى حبا ليس له حد ، وأفعمتنى حماسة دافقة تسكر أعطافى ٠٠ بحيث لا تمر ساعة لا أتطلع فيها الى صورتك، وأغمرها بالقبلات ! »

وهذه العبارات تعتبر فاترة بالقياس الى بعض العبارات الاخرى الملتهبة التى كتبها القائد الشاب الى زوجته فى مناسبات مختلفة ٠ ولست أشك فى أن أكثر النساء لا يحجمن عن التضحية بذراعهن اليمنى كيما توجه اليهن رسائل كهذه !٠٠ لكن جوزفين لم تبد مع ذلك كبير اهتمام برسائل نابليون اليها ٠٠ فقد كانت مشغولة بمغازلة عاشق آخر !

واستشاط نابليون غضبا من اهمال زوجته فى الرد على خطاباته ، وأمضه عدم اكتراثها ٠٠ فعمد الى الانتقام منها أثناء حملته على مصر بدعوة فتاة شقراء الى تناول الشاى معه ٠٠ وبلغ النبأ مسامع جوزفين فى باريس ، رغم بعد الشقة ، فلما

جوزفين و احد عشاقها !

عاد نابليون الى فرنسا حاسبته على فعلته حسابا عسيرا - كما تفعل الزوجات عادة فى مثل هذه الاحوال ! - وخلال الشجار صارحته جوزفين برأيها فيه ، وصارحها هو برأيه فيها .. وانتهى به الامر الى أن أوصد بابه دونها !

معارك نسائية !

◆ وقد أعقبت تلك الازمة متاعب جمة فى الاسرة ، وعلى الاخص بين جوزفين وشقيقات نابليون .. فقد كانت هى تفوقهن تهذيبا ، الامر الذى أثار فيهن شعور الغيرة منها والحسد لها .. وصور لهن الوهم مختلف التصورات : صرن يعتقدن أنها تكيد لهن ، فجن لذلك جنونهن ، وأقسمن أن يعاملن واياها على قدم المساواة ، ويطاولن مكانتها عند أخيهن .. فبدأن يسخرن منها ، ويطلقن عليها لقب « العجوز » ! ثم رحن يوحين

الى نابليون بأنه كان ينبغى أن يطلق زوجته « البدينة العجوز » ويتزوج من أخرى تصغرها فى السن ·· الخ

ولكن برغم ما أطلقن به ألسنتهن ضد جوزفين ، فقد عجزن عن قتل حب نابليون لها ·· لم يفلح فى انتزاع حبها من قلبه أى شىء ·· لا شىء على الاطلاق !

ومع ذلك فقد جاء اليوم الذى قرر فيه تطليقها ، لسبب واحد لا غير : أراد زوجة تنجب له وريثا ، لعرشه ومجده !·· ولقد حطم قلبه أن يضطر الى هذا الطلاق ، فبكى وهو يوقع وثيقته ·· ثم قضى الايام الثلاثة التالية جالسا فى قصره يحملق فى الفضاء ، شارد الذهن ، رافضا مقابلة أى انسان ، أو تصريف شىء من شؤون الدولة !

الزوجة الثانية ·· تهجره !

◆ **ولكن** لم تمض على الطلاق مدة وجيزة حتى تزوج نابليون من الاميرة النمسوية « مارى لويز » !·· والعجيب فى أمر هذا الزواج أن مارى لويز ـ شأن سائر النمسويات ـ نشئت وربيت على احتقار عدو وطنها اللدود نابليون! ولقد تضرعت الى الله أن لا تضطر للزواج منه ، ولكن أباها أصر على اتمام « الصفقة » لاغراض سياسية ! فعقدت الزيجة « غيابيا » بمقتضى توكيل ، بغير حتى أن يقع بصر الزوجة على زوجها ··

وكانت النتيجة المنطقية لذلك أنها عاشت لا تحفل به ! وعندما بدأ يفقد معاركه الحربية وأخذ نجمه فى الافول ، هجرته ·· بل وعلمت ابنه الوحيد الذى أنجبته له أن يكرهه!

والواقع أن حب نابليون الاول ، والاخير ، وحبه الحقيقى الاوحد ، كان لجوزفين !·· فلما ماتت زار قبرها ، وأكب عليه يبكيها منتحبا بحرقة : « حبيبتى جوزفين ·· انها على الاقل ما كانت لتهجرنى قط ! »

وعندما حضرته الوفاة ، كانت آخر كلمة لفظتها شفتاه : « جوزفين ! »

هـ.ج. ويلز

حياته فى سطور

◆ هربرت جورج ويلز ، كاتب وروائى انجليزى اشتهر باتجاهه العلمى فى قصصه واكثرها يصف بلادا خيالية او يتصور احوال العالم فى المستقبل !

◆ ولد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٦٦ ، لاسرة رقيقة الحال

◆ شغف بالقراءة ، واستطاع ان يفوز ببعض المنح والجوائز التى مكنته من اتمام دراسته بالمجان بجامعة لندن ، بعد ان احرز تفوقا عظيما .

◆ اشتغل بتدريس علم الاحياء ، ثم انصرف الى الصحافة .

◆ نشر اول كتبه فى سنة ١٨٩٥ ، ونجح فى كتابة القصص العلمية التى مزج فيها بين الخيال والحقائق العلمية . كما وضع قصصا صور فيها المجتمع المعاصر

◆ اهم مؤلف اكسبه شهرة ومجدا هو « خلاصة التاريخ » الذى ابدى فيه مقدرة فذة فى الجمع بين الفائدة العلمية والروح الشعبية، فقرب المعلومات التاريخية لعقول الجماهير العادية

◆ مات فى ١٣ اغسطس سنة ١٩٤٦

« كتابى »

رب ضارة نافعة !

◆ **منذ** قرابة خمسة وسبعين عاما كان لفيف من الاطفال يلعبون فى احدى ضواحى لندن ، واذا بحادث يقع فيعكر عليهم

صفوهم : فقد أمسك أحد الاولاد الكبار بولد صغير يدعى « برتى ويلز » وقذف به فى الهواء .. وبدلا من أن يتلقاه بعد ذلك وهو يهوى الى الارض ، دفعه بكل قوته .. فكسرت ساقه!

وقضى برتى فى الفراش شهورا يتلوى من الالم ، وحول قدمه حمل ثقيل من الاربطة .. غير ان العظمة المكسورة لم تلتئم التئاما صحيحا ، فكان لا بد من اعادة كسرها ! وكانت تجربة فظيعة بالنسبة للصغير برتى ، الذى راح يصرخ أثناءها من الالم والفزع معا ..

وبدا هذا الحادث فى حينه كمأساة .. ولكن برتى عاش ليستشف من ورائه خيرا عميما ، فقد أصبح من أشهر المؤلفين فى العالم أجمع ! - وان كنت لا تعرفه باسم « برتى » بل باسم « هربرت جورج ويلز » أو « هـ. ج. ويلز » .. وربما تكون قد قرأت بالفعل بعض كتبه ، فقد وضع أكثر من خمسة وسبعين كتابا !

ولقد اعترف « ويلز » بأن حادث كسر ساقه ربما كان من أسعد حوادث حياته ! لماذا ؟ لانه قيده فى الفراش فى بيته مدة عام كامل ، فكان يلتهم أثناء ذلك كل كتاب يمكنه الحصول عليه - لانه لم يكن ليستطيع أن يفعل شيئا آخر ! - وكانت النتيجة انه شحذ ذوقه الادبى وحبه للكتب ، فحفزته القراءة كما ألهمه الادب ، وعول على التغلب بهما على ما يكتنفه من سآمة وضجر ..

وهكذا كانت تلك الساق المكسورة نقطة التحول فى حياته!

عصامى !

◆ **لقد** صار « هـ.ج. ويلز » من أغلى المؤلفين أجرا فى العالم كله .. ويرجح أنه اقتنى من قلمه ثروة تقدر بمائتى ألف جنيه ! - مع انه تربى فى أحضان فقر مدقع ، فقد كان أبوه من لاعبى (الكريكت) المحترفين ، وكان له محل صغير لتجارة

الاوانى الصينية يترنح على شفا الافـلاس • وقد ولد هـ• ج• ويلز فى حجرة ضيقة واقعة فوق ذلك المتجر • وكان مطبخ البيت يقع فى « البدروم » ، وكان مظلما رطبا ضيقا يتسرب بصيص النورالوحيد اليهآتيا من فجوة ضيقة فى افريز الشارع المرتفع فوقه • وكان من ذكريات ويلز الاولى ، جلوسه فى ذلك المطبخ المظلم يراقب أقدام الناس وهى تسير من خلال الفجوة الحديدية الضيقة ! وقد كتب عن تلك الاقدام بعد ذلك بسنوات، فأوضح كيف انه تعلم أن يحكم على الناس من الاحذية التى يلبسونها !

وأخيرا أفلس متجر الاوانى الصينية فخيم اليأس على العائلة، حتى اضطرت الام لان تعمل مديرة لاحد المنازل فى ضيعة كبيرة فى (سسيكس) • وكان من الطبيعى أن تعيش هناك مع الخدم، وكان ابنها كثيرا ما يذهب اليها لزيارتها • وفى ذلك المكان لاحت فى أفق ويلز أول نظرة عن الحياة الانجليزية الراقية ، وقد تلقاها من جناح الخدم !

يكنس ويمسح الارض !

◆ **ومؤلف** « خلاصة التاريخ » بدأ حياته العملية فى سن الثالثة عشر صبيا في محل لبيع الاقمشة • وكان عليـــه أن يستيقظ فى الخامسة صباحا فيكنس المتجر ويوقد النار ويعمل عمل العبيد مدة أربع عشرة ساعة فى اليوم •• فمج ذلك العمل لانه كان نوعا من التعذيب • وفى نهاية الشهر طرده صاحب المحل لانه كان « أشعث الهندام ، مهملا ، ومشاغبا ! »

وحصل ويلز بعد ذلك علىعمل فى صـــيدلية •• وللمرة الثانية طرد فى نهاية الشهر !•• وأخيرا حصل على عمل فى متجر آخر للاقمشة ، ولما كان يتحتم عليه أن يحصل على لقمة العيش فقد صمد فى هذه المرة وقتـــا أطول •• ولكنه كان يغافل المراقب وينزل الى المخزن فى الدور الاسفل ليكب على قراءة كتب « هربرت سبنسر » !

في سبيل لقمة العيش

وانقضى عامان لم يطق ويلز بعدهما صبرا على هذا النوع من الحياة ٠٠ فاستيقظ فى صبيحة أحد أيام الاحد ، ودون أن يتناول طعام الافطار ، جرجر ساقيه ، وسار متحاملا على نفسه مسافة خمسة عشر ميلا ، وبطنه خاوية ، الى حيث كانت أمه ٠٠ كان ثائرا كالمجنون ، وقد أخذ يتضرع اليها ويبكى ٠ وأقسم ليقتلن نفسه اذا أرغم على البقاء فى ذلك المتجر بعد ذلك! ٠٠ ثم كتب خطابا طويلا مؤثرا الى ناظر مدرسته المسن قال له فيه انه تعس كسير القلب وانه لا يريد أن يعيش أكثر مما عاش ٠٠

ولفرط دهشته ، تلقى ردا من ناظر المدرسة يعرض عليه فيه وظيفة ٠٠ مدرس !

يالله ! لقد كانت هذه نقطة تحول أخرى فى حياته . ومع ذلك فان هـ. ج. ويلز يقول لنا فيما أعقب ذلك من سنى حياته ، بصوته الحاد المرتفع ، ان سنى التعاسة الطويلة العصيبة التى قضاها في محل بيع الاقمشة كانت بركة مقنعة .. فقد كان بطبعه كسولا خاملا ، فعلمه متجر الاقمشة أن يعمل ، بغير أن يتعب أو يمل !

النور الذى لاح فى ظلام حياته !

◆ **وبعد** سنوات قليلة من ممارسته مهنة التدريس حلت به كارثة كأنها انفجار مفاجىء : كان يلعب كرة القدم ، وفى حرارة اللعب وحماسته سقط على الارض وديس بالاقدام وأوشك أن يقتل !

وتفتتت احدى كليتيه ، وثقبت رئته اليمنى ، وأصيب بنزيف شديد . ويئس الاطباء من شفائه ، حتى لقد ظل عدة شهور مهددا بموت متوقع فى كل لحظة !

لكنه عاش .. وان بقى طوال اثنى عشر عاما رهيبة متعلقا بأهداب الحياة وهو نصف عاجز !.. **ومع ذلك ، فأثناء تلك السنوات الاليمة تمكن من أن يشحذ مقدرته الى الحد الذى جعل اسمه معروفا فى أرجاء العالم المتمدين !.. فقد ظل يكتب بحماسة دافقة زهاء خمس سنوات** .. ولكن الكتب والمقالات والقصص التى أخرجها كانت كلها غثة ، وليدة الهواية . وكان عند ويلز من سلامة التقدير ما جعله يدرك هذه الحقيقة ، فأحرق كل ما كتبه تقريبا !.. وأخيرا ، وبالرغم من أنه كان نصف عاجز ، حصل على وظيفة أخرى للتدريس . وكانت هناك فتاة جميلة تحضر دروس علم الحياة تدعى « كاترين روبنز » ، فوجد هـ. ج. ويلز نفسه أكثر اهتمامابكاترين منه بعلم الحياة ! وكانت الفتاة ضعيفة يبدو عليها المرض .. وكان

هو كذلك .. فأرادا أن ينتهبا من الحياة كل ما يستطيعان انتهابه من سعادة فى الحال .. فتزوجا !

المهدد بالموت .. يعيش نصف قرن !

◆ **كان** ذلك منذ أكثر من خمسين عـاما . وبدلا من أن يموت ويلز ، استعاد قوته وتحول الى محرك آدمى مولد للنشاط، يخرج كتابين طويلين كاملين كل عام .. من هذه الكتب التى تجاوبت أصداؤها فى العالم حتى وفاته فى سنة ١٩٤٦ .. لقد كان ذهن ويلز يشتعل بالافكار اشتعالا .. فكان يستيقظ فى منتصف الليل ليدون فى مفكرته خواطر طارئة .. واذا بذلك الغلام الكسول الذى طرد مرة من محل بيع الاقمشة لعدم كفاءته ، يجمع فى مفكراته مادة من الكثرة بحيث كانت تكفيه لتأليف كتب لمدة مائة وخمسين عاما !

وكان ويلز يستطيع الكتابة فى أى مكان : فى مكتبه فى لندن ، وفى القطار ، أو تحت مظلة على الشاطىء بجوار مياه البحر الابيض المغرية الزرقاء . وقد استأجر منزلين صغيرين على الريفييرا الفرنسية ، خصص أحدهما للعمل والثانى لاستقبال الضيوف . وكان يكتب طيلة النهار ، ويجلس الى ضيوفه فى المساء فقط . وفى الحالات التى لم يكن فى مقدوره فيها أن يذهب الى المحطة لاستقبالهم ، كان يعمد الى خير تعويض يمكنه أن يعوضهم به عن تخلفه : كان يرسل اليهم سيارة كبيرة لاستقبالهم ويرسل مع السائق مفتاح « الكهف » المزود بكميات كبيرة من الخمور المعتقة .. فاذا ما مضى أخيرا للقاء ضيوفه فى المساء ، فانه كان يجدهم من فعل الخمر فى أحسن حال .. وخير مزاج !

نظام حيدر أباد

بقية من عصور الاقطاع !

◆ **ان** أغنى رجل فى العالم يأكل بأصابعه ، فهو لا يستعمل سكينا ولا شوكة ولا ملعقة ٠٠ وحتى الحساء يشربه بأطراف أصابعه !

ولست أعنى بأغنى رجل فى العالم مستر « مورجان » ، الرجل صعب المراس ٠٠ ولا مستر « فورد » الرجل الذى لا يهدأ ٠٠

كلا ٠٠ بل ان أغنى رجل فى العالم لم يسبق له مطلقا ممارسة التجارة ، ولم ير فى حياته قط حى المال والاعمال « وول ستريت » ، وأغلب الناس لم يسمعوا باسمه على الاطلاق!

ان اسم هذا الرجل هو « نظام عثمان على خان باهادور فاتش جانج عساف جاه » ، ولكنه يدعى فى العادة «نظام حيدر أباد» ٠ وهو سليل أباطرة المغول الاقدمين الذين اكتسحوا ممر «خيبر» ونهبوا الهند منذ قرون مضت ٠ وهو يحكم بيد من حديد أغنى ولاية فى الهند ٠

ماذا تراه يصنع بكل هذه الثروة ؟ أجل ٠ ان أول ما يطالعك فى قصره « حريم » يحتوى على أكثر من خمسمائة امرأة !٠٠ ولكن محظيته المفضلة بينهن واحدة ، تتجول فى سيارة « رولز رويس » مقفلة أسدلت الستائر على نوافذها حتى لا يتمكن الهمل من الدهماء من التفرس فى وجهها الملكى ! وفيما عداها

لا يعبأ « نظام » كثيرا بالجميلات الاخريات فى «حريمه» • هل قلت « الجميلات » ؟ ان هذا القول مبالغ فيه بعض الشىء ، فقد ورث «نظام» حريمه عن والده الذى توفى منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاما • ولعل نساء هذا الحريم كن فى جمال جين هارلو منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاما ، ولكن واحدة منهن لا يمكنها أن تفوز بجائزة فى مسابقة للجمال تقام اليوم ! •• لان مر السنين قد ترك آثاره على وجوههن، ومع ذلك فان «نظام» صارم معهن الى حد أنه لا يسمح حتى للاغوات بالدخول الى حريمه !

جوقة ناعمة توقظه !

◆ **ويستيقظ** أغنى رجل فى العالم كل صباح قبل الفجر ، ولكنه لا يضطر الى القفز من فراشه ليوقف جرس «المنبه» ، لان « جلالته » يوقظ من أحلامه بواسطة فريق من الموسيقيين

يتسللون الى مخدعه وهو نائم فيعزفون له ويغنون أرق وأعذب الانغام !

ونظرا لكون « نظام » مسلما فهو ينهض مبكرا ليتمكن من أن يمد بساطه المعد للصلاة ويولى وجهه شطر مكة ثم ينحنى خاشعا أمام الله ويسكب روحه فى الصلاة ، عندما تلوح الشمس على تلال حيدر أباد .

وبين حاشية « نظام » أربعة خدم عملهم الوحيد فى الحياة هو أن يلبسوه ملابسه .. وقد تخصص كل منهم فى الباس جزء من جسمه الملكى ! فأحدهم مثلا مختص بالسراويل - (وانه ليعتبرها اهانة له اذا طلب اليه مثلا أن يساعد فى الباس الملك قميصه ! كلا ياسيدى .. وانما هو لا يكاد ينتهى من سراويل النظام حتى يجلس فى الظل ويستريح ، فى انتظار استئناف عمله فى الصباح التالى !

والنظام ملك مطلق ، له حق الحياة والموت على رعاياه البالغ عددهم أكثر من ١٥ مليونا من الانفس .. وعند مروره يخر عامة الناس أمامه على الارض بخشوع ..

لا يستعمل الصابون !

وبالرغم من أنه يأخذ حماما معطرا كل صباح ، فانه لا يستعمل الصابون .. بل يستعمل بدلا منه مسحوقا مستخرجا من قشر بعض الاشجار . وهو لا يتناول طعام الافطار الا بعد أن يستيقظ بأربع ساعات ، وعندئذ يتناول وجبة تجمع مابين الافطار والغداء ! وهو لا يشرب الشاى ولا القهوة بل يشرب اللبن أو الماء البارد القراح

ويتناول « نظام حيدر أباد » افطاره على صحاف من الذهب الخالص ! وياله من افطار: انه مكون من اثنى عشر صنفا من الحساء الساخن ..يضاف اليها البيض الذى يسلق ثم يمزج باللحم ويصنع على شكل قوالب ثم يحفظ ليقلى عند الطلب ..

ومع كل ذلك فان فم « نظام » الذى أنهكه الاكل لا تزال تغريه أطباق نادرة من لحم الطاووس والطيور المتوحشة وعصافير الجنة

وهو يلبس فى العادة رداء من الحرير الابيض موشى بالذهب، وحول عنقه عقود من اللؤلؤ والماس • ومع ذلك فقد رؤى مرات فى أماكن عامة مدثرا بعباءة سوداء ملوثة بالشحم !

ومع ان له حلاقا كل عمله فى الحياة هو أن يجعله حسن المظهر دائما الا أنه يتسلل أحيانا ليقوم ببعض الجولات ، بذقن غير حليقة وشعر طويل أشعث !

من أين جمع ثروته !

◆ **وعند** النظام مقاعد وأرائك وعربات ، بل ومدافع ، مصنوعة من الذهب ، ومطعمة بالزمرد والاحجار الكريمة ! ومن الطبيعى أنه لا يستطيع أن يطلق هذه المدافع الذهبية ، لانها أضعف من أن تحتمل هذا ، ولكنها تترك تأثيرا هائلا فى نفس الزائر عند رؤيتها ••

ترى كيف ومتى حصل نظام حيدر أباد على كل هذه الثروة ؟ ان جزءا كبيرا منها جاءه من وادى « كولكوندا » ، أغنى حقول الماس فى العالم • ومن مناجم كولكوندا التى يفوق غناها حد التصور استخرجت أشهر الجواهر المعروفة فى العالم ـ كالجوهرة الضخمة التى يخطف شعاعها الابصار والمشهورة باسم « كوهينور» ، وهى موجودة الآن فى التاج البريطانى •• وماسة « هوب » المشؤومة التى تجر وراءها أينما انتقلت سلسلة من الخرافات والمآسى الدموية ! ثم ماسة « أورلوف » الهائلة التى كانت تضعها الامبراطورة كاترين على هامة تاجها الملكى الغشوم ••الخ

وبالرغم من هذه الثروة الطائلة، فان النظام يحب أن يربح بعض الجنيهات مثلك ومثلي •• فهو يولم مثلا في بعض الاحيان ولائم

فاخرة ، ولكنه ينتظر من ضيوفه المدعوين أن يحضر كل منهم معه هدية مالية مناسبة ·· فاذا كان المدعوون للعشاء فى احدى المناسبات خمسمائة مدعو مثلا ، وأنقده كل مدعو جنيهين ، فانك تستطيع أن تقدر المبلغ الذى يحصل عليه فى الوليمة الواحدة !

وهو يخرج فى جولات منتظمة الى المتاجر العامة لشراء بعض الحاجيات ، ويذوق فى طريقه هذا اللون من الطعام أو ذاك ·· وحين يعجب جلالته بشىء فان العادة جرت بأن يعطى له صاحب المتجر ما يروقه مجانا ! وعليه فهو يعود من جولته الى قصره محملا بسلال مملوءة بالاطعمة التى لم تكلفه شيئا ! ·· وأحيانا يرسل هذه السلال الى أصدقائه ومع كل منها تذكرة تبين الثمن الذى على الصديق أن يدفعه مقابل الشرف الذى ظفر به باستلامه هدية « النظام » !

يبيع ديوان شعره لرعاياه !

ومنذ اثنى عشر عاما أعلن النظام انه بسبيل طبع كتاب يحوى أشعاره التى نظمها ! ·· وكان الثمن المحدد للنسخ العادية هو أربعة جنيهات للنسخة · أما النسخة « الملكية » فثمنها عشرون جنيها ! وحيث انه لا يوجد بين الطبقة الارستقراطية فى « حيدر أباد » من يجرؤ على رفض شراء أشعار مليكه الشاعر ، فقد بيع الكتاب مقدما وقبل الطبع كما يباع الكعك الساخن !·· ولكن مرت السنون منذ ذلك التاريخ والاشعار الملكية لم تطبع قط ، ولا عاد المال الذى جمع الى أصحابه !

ويؤثر النظام الكلام بالانجليزية ، ويصطاد النمور وهو على ظهر فيل ·· ويلبس أقراطا فى أذنيه ·· ويعطى زوجته المفضلة أربعين جنيها فى الشهر لتنفقها على نفسها ·· وينام على فراش خشبى ليس به أى « زنبرك » !

ادجار آلان بو

حياته فى سطور

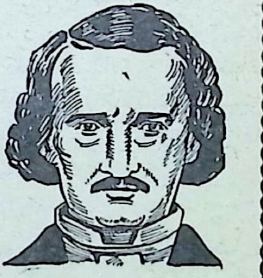

◆ « ادجار الان بو » ، شاعر وقصصى امريكى

◆ ولد فى بوسطن فى ١٩ يناير سنة ١٨٠٩

◆ عانى الفقر والمسغبة من صغره ، فلما مات ابواه كفله تاجر فى ريتشموند ـ بولاية فرجينيا ـ يدعى « جون الان » فاخذ عنه ثانى اسمائه . وعنى التاجر بتعليمه حتى اجتاز العام الاول من دراسته الجامعية ، ثم اختلف معه لانصرافه الى الخمر والميسر ، فهاجر بو الى بوسطن فى سنة ١٨٢٧ وهو معدم . وهناك نشر اشعاره فلم تلق نجاحا

◆ التحق بالكلية الحربية الامريكية ففصل منها . وعاش مع عمة له فى بلتيمور ، ثم تزوج من ابنتها . وفى هذه الفترة نجح ككاتب قصصى ، وافسحت له المجلات صدرها

◆ ذاع صيته كاديب وشاعر ، وبرع فى قصص الذعر والارهاب ، ولكن صحته اخذت تنحدر خلال السنوات الخمس الاخيرة من حياته، بسبب افراطه فى الخمر

◆ ماتت زوجته فى سنة ١٨٤٧ ، فازداد اقبالا على الخمر والمخدرات ... ووجد فى ٧ اكتوبر سنة ١٨٤٩ فى احد شوارع بلتيمور ، فى غيبوبة .. لم يفق منها !

« كتابى »

عبقرى نكبته الخمر !

◆ **كان** « ادجار ألان بو » من أنبغ الروائيين العـاطفيين ذوى الاسلوب الاخاذ الذين نظموا الشعر الغنـائى أو ألفوا القصص الغامضة المحبوكة ، وكان مقـدرا له أن يقفز بخطى جبارة عبر صفحات الادب الامريكى ·· ومع ذلك فقد طرد من جامعة فرجينيا لميله الجامح الى المقامرة وادمان الشراب ! ·· ثم أحيل الى مجلس عسكرى وطرد من الاكاديمية الحربية فى (وست بوينت) لانه تجاهل جميع القواعد المرعية وجلس فى غرفته بالمعسكر « يقرض الشعر » فى الوقت الذى كان يتعين فيه عليه أن يحمل بندقيته ويكون فى طابوره فى ساحة العرض العسكرى !

وقد ترك « بو » يتيما وهو صغير ، فتبناه أحد أثرياء تجار التبغ · ولكن حتى هذا التاجر الثرى انتهى به الامر الى أن قلب له ظهـر المجن فكان يضربه بالعصى ، ثم طرده من منزله ورفض أن يوصى له ببنس واحد من ماله !

وكانت قصة زواج « بو » من أغرب القصص : فقد تزوج من ابنة عمته « فرجينيا كليم » ، وفى وقت لم يكن فيه يملك شيئا ـ كما كانت حاله دائما ! ـ بل ان ظروفه جميعا كانت سيئة : كانت له أخت وحيدة أصيبت بالجنـون ـ وقد ارتاب بعض الناس فى أنه هو بدوره نصف مجنون ! ـ واجتمع فيه ادمان الخمر ، والفقر ، فكان يحتسى كحولا رديئا ·· على أن أغرب ما فى قصة زواجه أن سنه كانت ضعف سن زوجته ، فقد كان هو فى السادسة والعشرين وهى فى الثـالثة عشرة ! ·· وطبقا لما تواضعت عليه جميع كتب الحكمة القديمة كان يجب أن ينتهى زواجه هذا بكارثة سريعة محققة ·· ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل حدث نقيضه : فكان زواجه تجربة

عاطفية ناجحة كل النجاح ·· فلقد أحب زوجته « الطفلة » الى درجة العبادة · وألهمه حبه الخالد لهـــا أروع المقطوعات الشعرية التى أضافت ثروة الى الادب الانجليزى !

قصيدة تستغرق كتابتها عشر سنوات

◆ **وقد** نسج ادجار ألان بو من القصص ونظم من الشعر ما قدر له أن يحتل مكانة رفيعة بين روائع الادب وكنوزالعالم الفكرية ، ومع ذلك فانه لم يستطع أن يبيع هذه الامجاد الادبية الخالدة بما يكفيه لشراء الخبز القفار !

ومن أمثلة مقطوعاته الشعرية التى كتب لها الخلود قصيدة « الغراب » الطويلة التى منها هذه السطور :

« والغراب ، الجاثم دون حراك ، ما يزال رابضا على تمثال (بالاس) النصفى الشاحب ، فوق باب حجرتى ·· وفىعينيه كل مخايل شيطان يحلم ·· وضوء المصباح الذى ينساب فوقه يلقى ظله على الارض ·· »

وقد كتب « بو » قصيدة الغراب هذه ، وأعاد كتابتها ، ثم نقحها ، وانكب على نظمها وتنقيحها خلال عشر سنوات دون انقطاع ، وفى النهاية اضطر الى بيعها مقابل جنيهين اثنين ! ـ المبلغ الذى كان الممثل « جون باريمور » مثلا يحصل عـلى أكثر منه لقاء عمل دقيقة واحدة يؤديه فى هوليوود ! ـ وهكذا نجد الصور المتحركة تدر من المال أكثر مما يدر الشعر

بقى أن تعرف أن هذه القصيدة بعينها التى باعها « بو » مقابل جنيهين اثنين كما أسلفت ، بيعت نسختها المخطوطة الاصلية أخيرا بعشرات « الالوف » من الجنيهات !·· وهذا يحدو بنا الى التساؤل عن السبب الذى يجعلنا نترك نوابغنا يتضورون جوعا وهم أحياء ، حتى اذا ما واريناهم التراب عدنا ندفع فى مخطوطاتهم مبالغ خيالية !؟

ملكة الشعر ·· وملكة الحب

◆ **وهناك** فى (جران كونكورس) بنيويورك ، يقوم الكوخ الذى عاش فيه « بو » و « فرجينيـــا » ·· وقد كان حين استأجراه منذ ٨٨ عاما عبارة عن « عشة » متداعية الاركان متناثرة الاجزاء ، أما الآن فهو محاط بمنازل ذات طوابق عالية معدة للسكنى ·· لكنه من ناحية أخرى كان يومئذ أفضل منه الآن ، فقد كان المكان ريفيا تحتضنه أشجار التفاح · وعندما كان الربيع يزحف قادما من الجنوب كان الهواء يهب مشبعا بعبير زهر البنفسج ، وأريج الكرز ·· متماوجا بطنين النحل ·· وبعبارة أخرى كان جنة جميلة تفرخ فيها الاحلام !

وقد استأجر « بو » المكان باثنى عشر شلنا فى الشهر ·· وحتى هذا المبلغ الضئيل لم يكن يستطيع أن يدفعه ــ فقد كان فى أغلب الشهور لا يدفع ايجارا على الاطلاق ! ــ **بل انه كان عاجزا حتى عن توفير الغذاء لزوجته ، رغم مرضها بالسل !·· فكان التعسان يقضيان الايام تلو الايام على الطوى ، حتى اذا بدأ العشب ينمو فى فناء المنزل اقتطفاه وسلقاه ثم أكلا منه أياما متوالية !·· وأخيرا اكتشف الجيران أن بو وزوجته على شفا الموت جوعا ، فقدموا اليهما سلالا محملة بالاغذية ··**

أليس هذا مدعاة للرثاء والالم ؟ نعم ، ولكن « بو » برغم ذلك كان يجد السلوى فى ملكة الشعر ، و « فرجينيا » تجد السلوى فى ملكة الحب ·· وعليه فقد كانا سعيدين برغم فقرهما المفجع !

ومنذ سنوات ، اشترت ولاية (نيويورك) كوخ الشـــاعر الخالد وجعلت منه مزارا ·· فقد كان الكوخ مهبط أحـــلام « بو » ، المملوء بذكريات حياته المشجية !

يستجدى القط كى يدفىء زوجته !

◆ **وفى** ذلك المكان الشاعرى ماتت فرجينيا منذ ٨٧ عاما ·· وقبل وفاتها ظلت شهورا طريحة فراشها المصنوع من القش ، لا يستر جسدها من الملابس ما يكفى لدفئها ·· **فكانت اذا اشتدت عليها وطأة البرد والمرض عمدت أمها الى تدليك يديها وزوجها الى تدليك قدميها ، ثم غطى بو جسدها المنتفض بردائه العسكرى القديم البالى ـ الذى بقى له من مخلفات أيام دراسته فى كلية « وست بوينت » الحربية ـ فاذا ما جن الليل تحايل المسكين على قطه الاليف كى يصعد فيرقد عند قدمى المريضة ، ليدفئهما !**

عندما يفجع الشاعر فى حبه

وعندما ماتت فرجينيا ، لم يكن « بو » يملك نفقات دفنها .. ولولا عطف محسن من الجيران لأرسلت جثتها الى مدافن (بوتر) حيث كانت تدفن جثث المعوزين !

وكانت وفاتها فى يناير .. ومضت شهور الشتاء ، وحل الربيع ، فارتفع القمر ساطعا فوق هامات أشـــجار التفاح ، وتألقت النجوم فى غرب الافق .. ولكن « بو » جلس يحلم ، وتضطرم ضلوعه وحناياه شوقا الى فرجينيا !.. ومن شوقه المضطرم هذا ، انبثقت أجمل قصيدة حب جاشت بها مشاعر رجل نحو زوجته :

لا يسطع القمر الا ويعيد الى أحلام حسنائى الجميلة (أنا بيل لى) ..

ولا تتألق النجوم الا وأشعر بصفاء عينى حسنائى الجميلة (أنا بيل لى)

وهكذا ، طوال الليل ، أرقد بجوار حبيبتى .. حبيبتى ، حياتى وعروسى .. فى ضريحها هنالك بجوار البحر
فى قبرها بقرب البحر الصاخب !!

الامبراطورة كاترين

حياتها فى سطور

◆ كاترين الثانية ، امبراطورة روسيا التى لقبت بكاترين العظمى

◆ المانية الاصل ، ولدت فى ٢مايو سنة ١٧٢٩

◆ خطبت الى بطرس - ولى‌عهد روسيا - وكادت الخطوبة ان تفشل ، لولا ان‌تداركتها القيصرة ، فتم زفاف العروسين فى ٢١ اغسطس سنة ١٧٤٥

◆ كانت تعسة فى زواجها ، اذ كان زوجها مشوه الجسم ناقص العقل فكرهته. وحامت الفضائح حول حياتها الخاصة ، حتى انها حين انجبت ابنها بول - بعد عشر سنوات من زواجها - كاد بطرس ينكره لولا ان خدع فى شبهه به

◆ هددها بطرس - حين تبوأ العرش - بالطلاق وبانكار بنوة ابنها ، ولكنها جمعت انصارا عززوا جانبها ، وتقربت الى الشعب. وما لبث احد عشاقها ان قضى على القيصر فانفردت بالعرش من سنة ١٧٦٢ الى سنة ١٧٩٦

◆ كانت مقدرتها على الحكم فذة ، فكانت لا تدع مغامراتها الغرامية تطغى على شئونها السياسية ، وكانت تنفى اى عاشق يطمع فى الزواج منها . كما عنيت بالناحية الثقافية والفكرية وكانت‌تراسل العلماء والادباء والفلاسفة

◆ شرعت فى كتابة تاريخ روسيا ولم تتمه ، ووضعت عددا من القصص الفكاهية

◆ حاولت فرض المدنية الغربية على بلادها ، ووسعت رقعة املاكها ، ولكن الفساد دب فى حاشيتها فشوه سمعتها ، وماتت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٦

« كتابى »

من الفقر المدقع ٠٠ الى العرش !

◆ **كانت** الامبراطورة كاترين أشهر امبراطورة جلست على عرش روسيا المتألق ٠٠ ومع ذلك فان اسمها الحقيقى لم يكن «كاترين» ، ولم تكن روسية ، ويعتقد بعض المؤرخين بأنها لم تكن حتى عظيمة !

فعندما قدمت الى روسيا كانت « لا شىء » ٠٠ كانت مجرد أميرة ألمانية صغيرة ، فقيرة فقرا مدقعا ، نشأت نشأة المتشردين !٠٠ وقد وصلت الى روسيا وليس لها صديق ، ولا تملك شروى نقير ، وليس عندها الا ثلاثة أثواب فقط !٠٠ ومع ذلك فقد توصلت الى الزواج من الدوق الكبير « بطرس »، وارث عرش الروس !

ولكن « بطرس » لم يكن شيئا مذكورا : فقد كان ممعنا فى البلاهة ، تملأ وجهه الحفر التى أصابه بها مرض الجدرى ٠ وقد تعود الذهاب الى فراشه وهو لابس حذاءه ! وحتى بعد أن أصبح قيصرا ، كان يسكر مع خدمه الخصوصيين ، ويتناول سوطا يلهب به جنوده بيديه ، وينام على البلاط ساعات دفعة واحدة ، ويلهو بعرائس من الشمع يلبسها الملابس العسكرية !

وكان لكاترين عدة أطفال ، ولكن زوجها نصف المجنون رفض الاعتراف ببنوة أحد منهم ، زاعما أنهم ليسوا أولاده ! وكان يسب كاترين علنا وأمام مئات من الزائرين ، ويطلق عليها من النعوت ما لا أجرؤ على تكراره ٠٠ وهدد بتطليقها ، كما هدد أيضا بسجنها فى أحد الاديرة مدى الحياة !

وكان يحتقرها ، وكانت هى تعافه ٠ وعليه فقد دبرت له حركة تمرد وخلعته عن العرش ، وجعلت أحد عشاقها يضع له الزرنيخ فى شراب الفودكا !٠٠ ولكنه كان قوى البنية ، الى حد ان الزرنيخ ذاته لم يستطع القضاء عليه ! ومن ثم فقد ألقى به

عاشق كاترين على الارض ولف ملاءة حول عنقه وخنقه بها حتى مات !

وعندئذ ، حكمت كاترين امبراطورية من أعظم امبراطوريات العالم مدة أربعة وثلاثين عاما · وبسطت نفوذها على بلاد يسكنها خمسون جنسا مختلفا ، وكانت تدعوها « أسرتها الصغيرة » · ولم تتزوج مرة ثانية ، ولكنها لم تعش وحيدة : فان عشاقا يبلغون العشرين ، وربما يبلغون المئات ، كانوا يرقصون في مرقص قلبها العاطفى الحار ! ومع ذلك فقد كانت صارمة مع أحفادها حتى أنها منعتهم من دراسة علم النبات لانهم كانوا يسألون بعض الاسئلة عن طريقة تلقيح النباتات ··

وكانت تحيا مع عشاقها حياة كلها متعة ورواء ، وبددت عليهم مائة مليون من الجنيهات ! وبالرغم من أن بعضا منهم لم تكن له ذرة من الكفاءة ، فقد جعلتهم قوادا عظاما فى الجيش ، ونصبتهم حكاما أثرياء ورؤساء وزارات ! ثم غزت بولندا وولت أحد عشاقها ملكا عليها · ولم يكن هو يرغب فى أن يصير ملكا ، ولكنها كانت قد ملته ، ورغبت فى التخلص منه ، فرأت أن تجعله ملكا ·· كى تبعده ! وبعد مضى فترة من الزمن، حطمته وأعادت تاجه الموشى بالذهب الى روسيا واستعملته فى الحمام !

عشيق الامبراطورة يوسعها ضربا !

◆ **وكان** « جريجورى أورلوف » أحد عشاقها المقربين ، وكان ضابطا بالجيش ، جميل الطلعة ، له جسم أحد آلهة الاغريق ، وأساليب رجل الكهف !·· وقد ألف أن يوسع الامبراطورة ضربا مبرحا بقبضة يده ·· فاذا تعب منها هجرها عدة أسابيع دفعة واحدة ، وراح يقبل كل خادمة جميلة فى القصر ! ولكن كاترين كانت حصيفة وصولية واسعة الافق ، وعليه فقد غفرت لحبيبها الجميل « أورلوف » وأحبته لدرجة العبادة ، وأغدقت عليه الالقاب وأهدته قصورا وعبيدا

بالالوف . وأخيرا هرب مع احدى الفتيات-الرخيصات وأصيب بالجنون . . !

على أثر ذلك أحبت الامبراطورة كاترين عملاقا قبيح الخلقة يدعى « بوتيمكين » ، وكانت له عين واحدة لانه فقد الاخرى فى مشاجرة فى حانة ! . . ومع أن « بوتيمكين » كان يقيم فى قصر يتألق بكل سناء قصور الشرق وثرائها ، فانه كان يتجول وليس فى قدميه العاريتين سوى « الشبشب » الذى يلبس فى المنزل ! . . وكان أشعث الشعر ، فى حاجة دائما الى حمام . وكان يقضم أظافر يديه بأسنانه ويأكل البصل الفج والثوم ! ولكن «بوتيمكين» كان اعصارا من النشاط الجسمانى . وكانت مجرد لمسة من يده تملأ كاترين سعادة كلها حنان . وكانت تدعوه « ديكها الذهبى » و « حمامتها » و « طفلها المدلل »

وكان « طفلها المدلل » من أعظم القواد الذين أنجبتهم روسيا، ومع ذلك فقد كان يخاف ضوضاء البنادق ويرتجف كالتلميذة كلما سمع طلقة مدفع !

المتهتكة التى لا تشرب الخمر !

◆ **ومع** أن كاترين كانت أغنى امرأة فى العالم فانها كانت تأكل مرتين فى اليوم فقط . والواقع أن صاحب أى دخل متواضع يمكنه أن يستمتع بطعام أجود من الطعام الذى كثيرا ما كانت تأكله الامبراطورة كاترين !

وكان الطعام يقدم اليها فى صحاف من الذهب ، واذا حدث أن أحرق الطاهى اللحم فانها كانت تكتفى بالضحك وتأكله مع ذلك

ومع أنها كانت من أعظم النساء اللواتى تقلبن فى أعطاف النعيم ، الا أنها لم تشرب الخمر قط ، ولا أى سائل كحولى . ولكنها كانت تشرب أنواع العصير المعروفة الحلوة . وكانت تشرب أيضا خمسة أقداح من القهوة المركزة كل صباح . وكانت تستهلك فى اعداد هذه الأقداح رطلا من البن !

وبرغم أن كانت كاترين محاطة بمئات من الخدم ، الا أنها كثيرا ما كانت توقد النار بنفسها . ولم تدخن فى حياتها قط ولكنها كانت تستنفد كميات هائلة من السعوط الذى كان ينثر على ملابسها فتفعم برائحته حتى لتفوح منها من بعيد ..

ولما كانت طويلة القامة كالجندى قاذف القنابل ، فانها كانت ترى مزهوة للغاية وهى فى العربة الامبراطورية وقد مدت عنقها لتظهر نفسها فى قامة أطول - مع أنها عندما كانت طفلة كان جسمها ملتويا ومشوها حتى أنها لمدة سنين كانت مضطرة لان تلبس سترة ضيقة فى الليل والنهار !

وكان تكوين جمجمة رأسها كطفلة فى السادسة ، بل ان نمو عظامها لم يكتمل الا في سن السادسة والعشرين • وكانت تعانى آلاما مبرحة من حالة صداع لا ينقطع

ولما كانت متكبرة متعالية فانها كانت لا تفض خطابا الا اذا كان عنوانه الموجه اليها يتضمن هذه العبارة : « صاحبة الجلالة الامبراطورية » • وقد جدعت أنف أحد الرجال مرة لانه سكر وادعى أنه زوجها !

غرامها الاخير !

ولما تقدمت السن بكاترين أصبحت بدينة للغاية •• بدينة الى حد أن قدميها لم تعودا تقويان على حمل جسمها الذى كان فى وزن جسم الفيل ! فاضطرت الى أن تتنقل فى أنحاء القصر مدفوعة على مقعد ذى عجلات !

وبرغم سقوط أسنانها ، وترهلها ، فان نسمات الربيع كانت لم تزل تهب بين جنبات نفسها المشبوبة ، وعليه فقد وقعت فى شرك الحب ثانية • وكان الحبيب فى هذه المرة شابا صغيرا فى سن حفيدها • وأثناء سنى حكمها الاخيرة ، حكم هذا الدعى التافه المبتذل روسيا كأنه القيصر !

زوجة ابراهام لنكولن

شقاء يدوم ٢٠ عاما !

خالدة ٠٠ فى تنغيص حيـــاة زوجها !

◆ **منذ** قرن مضى تزوج ابراهـــام لنكولن من « مارى تود » فى مدينـــة (سبرنج فيلد) بولاية « الينوا » ٠ وقد ثبت أن زواجهما كان من أتعس وأشقى الزيجات فى التاريخ !

والتعليق الوحيـــد الذى علق به لنكولن على زواجه كان حاشية أضافها الى خطاب خاص بالعمل ، كتبه بعد اسبوع من « الحـــادث » الى من يدعى « صمويل مارشال » ـ والخطاب الآن فى حيازة جمعية شيكاغو التاريخية ـ وفيه يقول لنكولن : « ما من أخبار جديدة هنا سوى خبر زواجى ، الذى يبدو لى مدعاة للتساؤل العميق ! »

وقد كان « وليم هـ٠ هرندون » شريك لنكولن فى المحاماة لنحو ربع قرن ، فأتيح له أن يعرفه أكثر مما عرفه أى انسان آخر ٠ ويقول هرندون : **لست أعرف ان لنكولن قد صادف يوما واحدا سعيدا فى مدى عشرين عاما ! » ٠٠ وكان هرندون يعتقد أن زواج لنكولن كان من العوامل القـــوية لذلك الاسى والكآبة اللذين لازماه ! »**

وقد قضيت ثلاث سنوات أدرس وأكتب تاريخ حياة لنكولن، فخصصت حياته العائلية بأقصى درجات العناية التى يستطيعها

انسان ٠٠ وفحصت وأعدت فحص كل شاردة وواردة من الدلائل التى فى حيز الوجود ٠٠ فوصلت الى هذه النتيجة الكريهة المؤلمة ، وهى ان أفجع مأساة فى حياة لنكولن كانت مأساة زواجه !!

الارستقراطية المتعجرفة !

◆ **فبعد** خطبته لمارى تود بوقت وجيز ، بدأ لنكولن يرى بوضوح أنهما على طرفى نقيض فى كل شىء : فى المزاج ، والاذواق ، والتربية ، والميول ٠٠ الخ ، بحيث ما كان يمكن أن يعيشا سعيدين بحال من الاحوال !

فمثلا ختمت مارى تود تعليمها بدراسة تكميلية « متقعرة » فى مدرسة لبنات الطبقة الرفيعة بمدينة (كنتاكى) ، وكانت تتكلم الفرنسية بلهجة باريسية عالية ٠ بل انها كانت من أحسن نساء (الينوا) ثقافة !٠٠ فى حين بلغ مجموع المدة التى قضاها لنكولن فى المدارس أقل من اثنى عشر شهرا من حياته كلها !

وكانت مارى فخورة بأسرتها الى أبعد حد ، فأجدادها وأجداد أجدادها وأعمامها كانوا قوادا عظاما وحكاما ـ وكان أحدهم سكرتيرا للاسطول ـ أما لنكولن فلم يكن بين أفراد أسرته وأسلافه من يبعث على الفخر ٠ وقد ذكر مرة أن واحدا فقط من أقاربه قد زاره طيلة مدة حياته فى (سبرنج فيلد) ، وان هذا الواحد الوحيد قد اتهم بالسرقة قبل أن يغادر المدينة !

وكانت مارى تود من ناحية ثالثة شديدة الاهتمام بالملابس والمظاهر وأسباب الزهو ٠٠ بعكس لنكولن الذى لم يكن يعير مظهره أى التفات ، بل كان يحدث أن يسير فى الشارع بأحد قدمى سرواله خارج حذائه الطويل ، والقدم الاخرى منه محشورة داخل الحذاء !

وقد تعلمت مارى تود أن آداب المائدة من « الطقوس المقدسة » ٠٠ أما لنكولن فقد نشأ وتربى فى كوخ عتيق قذر ، وكان يقطع

الزبدة بمطواته ، ويأتى أفعالا وحركات كثيرة كانت تصدم ماري فتثور لها ثورة ضارية !!

وكانت هي متكبرة متغطرسة ، وهو وديع و « ديموقراطي » .. أما في باب « الغيرة » فقد كانت تثير اشكالا اذا هو نظر مجرد نظرة الى امرأة أخرى ! كانت غيرتها من المرارة والحماقة والشذوذ بحيث تجعل الانسان يفقد أعصابه عندما يقرأ عنها الآن !

دموع المرأة .. تكسب المعركة !

◆ **وقد** حدث بعد خطبتهما بوقت وجيز أن كتب لنكولن اليها خطابا يصارحها فيه بأنه لا يحس نحوها بالحب الكافى لان يتزوجها . وأعطى خطابه لصديق له يدعى « جوشا سبيد » كي يوصله اليها .. لكن « سبيد » مزق الخطاب وألقى به فى النار ، ناصحا لنكولن بأن يذهب ليرى مارى تود بنفسه !.. وقد فعل ، وحين صارحها بأنه لا يريد أن يتزوجها انخرطت فى البكاء . ولم يكن فى طاقة لنكولن أن يحتمل رؤية امرأة تبكى ، فأخذها بين ذراعيه وطيب خاطرها ثم قبلها نادما مستغفرا !

وقد حدد يوم أول يناير سنة ١٨٤١ لعقد قرانهما ، فأعدت كعكة الزفاف واجتمع المدعوون ، وحضر الكاهن ، ولكن لنكولن لم يظهر ، لماذا ؟ لقد فسرت أخت مارى تود الامر بعدئذ بقولها ان لنكولن أصيب بنوبة جنون . وأضاف زوجها : «نعم . لقد أصبح مجنونا فاقد الصواب ! » .. **والحقيقة انه كان قد أصيب فى جسمه وعقله بأزمة خطيرة وغرق فى بحران من الكآبة بلغ من العمق والفظاعة حدا كاد معه توازن عقله أن يختل !.. صار أصدقاؤه يرونه فى النهار يتمتم بعبارات متقطعة ، ويقول انه لا يريد أن يعيش .. بل لقد كتب مقطوعة من الشعر عن الانتحار ونشرها فى احدى صحف (سبرنج فيلد) . وبلغ**

قلق أصدقائه بشأنه الى حد أنهم انتزعوا منه مطواته ليحولوا بينه وبين قتل نفسه !

وعلى أثر ذلك كتب لنكولن أفجع خطاب خطته يده ، وأدعى رسائله الخاصة جميعا الى الرثاء ، وقد وجهه الى شريكه فى المحاماة ـ وكان وقتئذ متغيبا لحضور أحد المؤتمرات ـ وهذا هو الخطاب ، بنصه الحرفى :

« اننى الآن أتعس رجل فى الوجود ‥ واذا وزع ما أشعر به من تعاسة على الاسرة الانسانية جمعاء ، فلن يتبقى بعد ذلك وجه واحد باسم على الارض !‥ لست أدرى اذا كانت حالتى سوف تتحسن يوما أم لا ، وان كان يخالجنى احساس قوى غامض بأننى « لن أصير الى حال أفضل‥ اما أن أظل كما أنا فهذا مستحيل · ويبدو لى أنه أصبح لا مفر لى من أن أموت ، ان لم تتبدل الظروف ‥ »

غلطة العمر !

◆ **وقد** ظلت علاقة لنكولن بخطيبته منقطعة بعد ذلك طيلة عامين ‥ حتى أخذ أحد الوسطاء من أهل « الخير » فى المدينة على عاتقه أن يصلح ما بينهما ، فجمعهما فى مكان خاص ‥ وفى ذلك اللقاء قالت مارى تود للنكولن ان واجبه يقتضيه أن يتزوجا! ‥ ففعل !

وبينما كنت فى (الينوا) أضع ذلك الكتاب عن لنكولن ، ذهبت لرؤية « العم جيمى مايلز » وهو فلاح يعيش بالقرب من (سبرنج فيلد) · وكان أحد أعمامه ذلك المدعو « هرندون » شريك لنكولن فى المحاماة ، كما كانت احدى عماته تدير فندقا صغيرا نزل فيه لنكولن وزوجته بعد زواجهما بوقت قصير · وقد حدثنى العم جيمى بأنه طالما سمع عمته تروى هذه القصة :

كان مستر ومسز لنكولن يتناولان طعام الافطار ذات صباح مع باقى نزلاء الفندق ، حين قال لنكولن شيئا لم يعجب زوجته ، فما كان منها الا أن تناولت قدحا مملوءا بالقهوة الساخنة

وقذفت به فى وجهه .. فعلت ذلك فى حضور النزلاء الآخرين! أما لنكولن فلم يحرك ساكنا ، أو ينبس بكلمة .. حتى أحضرت صاحبة الفندق قطعة من القماش مبللة بالماء ومسحت بها وجهه وملابسه !.. وأغلب الظن أن حوادث أخرى مشابهة ظلت تحدث فى منزل لنكولن طيلة السنوات التالية ..

على أننا ينبغى ألا نقسو كثيرا فى الحكم على مسز لنكولن .. فقد انتهى بها الامر الى الجنون . ويحتمل أن تكون قد أصيبت بمقدمات تلك اللوثة العقلية قبل ذلك بكثير !

ولعل أجمل ما ينبغى أن تعرف عن لنكولن بعد هذا ، أنه تحمل حياته الشقية زهاء ثلاثة وعشرين عاما بدون مرارة ولا تذمر ، وبغير أن يقول كلمة شكوى مما يقاسيه لاحد . لقد تحمل آلامه بتسامح يشبه تسامح المسيح ، وبصبر يكاد يكون الهيا !

كريستوف كولمبس

حياته فى سطور

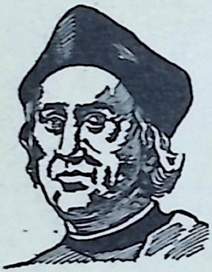

◆ « كريستوف كـولمبس » مكتشف العالم الجديد

◆ تدل القرائن على انه ولد فى جنوا ـ بايطاليا ـ فى سنة ١٤٥١ ودرس فى جامعة (بافيا) ثم أقدم على ارتياد البحار

◆ آثر الاقامة فى لشبونة حيث تزوج ـ فى سنة ١٤٧٨ ـ ابنة بحار خلف له خرائط اوحت اليه بان من الممكن الوصول الى آسيا بالابحار غربا • ولما اخفق فى اقناع ملك البرتغال بمساعدته فى تحقيق هذه الفكرة نزح الى اسبانيا

◆ عاونه فرديناند ملك اسبانيا على الاقلاع فى رحلة لاثبات فكرته ، ولما انقضت عشرة اسابيع والسفن تمخر عباب اليم دون ان يبدو للبر اثر ، تمرد البحارة • ولكنهم وصلوا فى ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ الى جزيرة سماها كولمبس « سان سلفادور » • كما اكتشف جزرا اخرى حولها ، منها « هايتى »

◆ قام كولمبس بثلاث رحلات أخرى تعرض خلالها للمشاق والدسائس والمؤامرات • واكتشف فى ثانيتها جامايكا وجزر البحر الكاريبى ، كما اكتشف فى الثالثة « ترينيداد » والبرازيل

◆ وعاد ليجد الدسائس ضده قد افلحت فى تأليب السلطات ضده فالقى فى السجن •• حتى اذا اطلق سراحه فى سنة ١٥٠٢ قام برحلة وصل فيها الى راس هندوراس •

◆ مات فى ٢٠ مايو سنة ١٥٠٦

« كتابى »

يبدأ حياته مع القراصنة !

◆ فى الثانى عشر من اكتوبر من كل عام يحيى الامريكيون ذكرى أهم حادث وقع فى التاريخ ، وهو اكتشاف أمريكا بواسطة كريستوف كولمبس • غير أن الطريف فى هذا الشأن ان كولمبس لم يكتشف أمريكا فى ١٢ أكتوبر بل اكتشفها فى ٢٣ من الشهر المذكور • فالتقويم الذى نستعمله الآن يرجع عهده الى « الاب جريجورى » ، ولم يسمع كولمبس بهذا التقويم ابدا — بل لم يكن له وجود فى عهده ، لانه ظهر بعد موته بمائة سنة ! وقد طبقت المستعمرات الامريكية هذا التقويم فى سنة ١٧٥٢ ، فلما أخذوا فى تطبيقه قفزوا الى الامام ١١ يوما بالضبط • لماذا ؟ لان التقويم كان مقدرا فى ذلك الوقت باحد عشر يوما وراء الشمس • واذن فبناء على التقويم الحالى يكون كريستوف كولمبس قد اكتشف أمريكا لا فى الثانى عشر من شهر أكتوبر، بل فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور

كان كولمبس قد بدأ حياته فى البحر فى شبابه الباكر بالانضمام الى بحارة احدى سفن القراصنة • ولم يكن فى هذا الامر أية غرابة لان أحسن الاسر فى ذلك العصر كانت ترسل ابناءها الى بلاد الغربة على ظهر سفن القرصان ، فقد كان هذا يربى فى الصبية الصغار ملكة الثقة بالنفس ، وكان ركوب البحر يمكنهم من بلوغ هدفين فى وقت واحد : رؤية العالم واقتصاد بعض النقود • ولم يكن فى القرصنة أى عار ، اللهم الا فى حالة القبض على القرصان ، فعندئذ تكون الطامة الكبرى !

وكان كولمبس قد درس فى المدرسة وهو صبى كتابا لفيثاغورس يقول فيه بنظرية كروية الارض ، ومن هنا عنت له فكرة : فقد تخيل انه اذا كانت الارض مستديرة فلا بد انه مستطيع ان يجد طريقا مختصرا يقوده مباشرة الى الهند • ولو وفق الى ذلك لأصبح ثريا !

ولكن اساتذة الجامعات وفلاسفتها الراسخين فى العلم سخروا من فكرته السخيفة . ماذا ؟ هل يقترح هذا الأبله المجنون الوصول الى الهند التى تقع فى اقصى الشرق ، بالابحار مباشرة الى الغرب ؟ كيف ذلك ؟ .. ان الرجل لا شك مخبول !

وهكذا قالوا له واعادوا أن الارض ليست كروية بل مسطحة، وحذروه من تنفيذ فكرته التى لو اقدم عليها لكانت انتحارا ! بل لقد نبهوه الى أن مراكبه سوف تمضى الى آخر الدنيا وهناك ستسقط فى فضاء ليس له غور !

يكافح فى سبيل هدفه ١٧ عاما !

وقد حاول كولمبس طيلة سبعة عشر عاما ان يجد ممولا واحدا يقبل امداده بالمال لتنفيذ مغامرته ، ولكن دون جدوى ! .. وأخيرا استولى عليه اليأس واستعد للعدول عن فكرته ، فلجأ الى أحد الاديرة فى اسبانيا ليقضى بين جدرانه بقية ايامه - ولم يكن يومئذ قد بلغ الخمسين من عمره ، ولكنه صادف من الصعاب والاحزان فى حياته ، ولا سيما خلال سنوات اليأس السبع عشرة ، ما جعل شعره الاحمر يبيض كالثلج !

وأخيرا أفلحت مساعى كولمبس ، فطلب البابا الى الملكة ايزابيل ملكة اسبانيا ان تمد اليه يد المساعدة .. فارسلت اليه الملكة مبلغ ثلاثة عشر جنيها ! فاستبد به الغضب وابتاع بالمبلغ سترة جديدة وحمارا .. ثم ذهب ليرى الملكة - وكان قد وصل الى مرتبة من الفقر اضطر معها الى الاستجداء اثناء الطريق !

وأمرت له الملكة بالسفن التى كان فى حاجة اليها ، ولكن مشكلة جديدة نشأت ، فقد تعذر عليه أن يعثر على الملاحين والبحارة اللذين يبحرون بها ، اذ كان الكل يهابون مسايرته فى مغامرته المجهولة المدى . واخيرا ، وبعد مجهود شاق ، ذهب الى احدى الموانىء فأمسك ببعض البحارة وأجبرهم على الرحيل . بينما لجأ مع البعض الآخر الى الرجاء ، فالاغراء بالمال، فالتهديد!

بل لقد اطلق سراح نفر من المجرمين وعرض عليهم رد حريتهم اليهم اذا هم قبلوا السفر معه !

واخيرا أتم العدة لكل شيء ·· وقبل شروق شمس يوم الجمعة ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ بنحو نصف ساعة ، اقلع كولمبس بسفنه الثلاث ورجاله البالغ عددهم ثمانية وثمانين ، فى رحلة من أهم الرحلات واعظمها اثرا فى تاريخ العالم !

الحسد ·· أصل كل الشرور !

◆ **لكن** المغامر الطموح لم يجد فى المستعمرات التى آكتشفها وأسسها فى العالم الجديد الا خيبة الامل والمصائب ، فقد قتل أهل المستعمرة الاولى جميعا بيد الهنود الحمر · وبلغ الحسد بحاكم المستعمرة الثانية حدا جعله يتهم كولمبس بارتكاب شتى

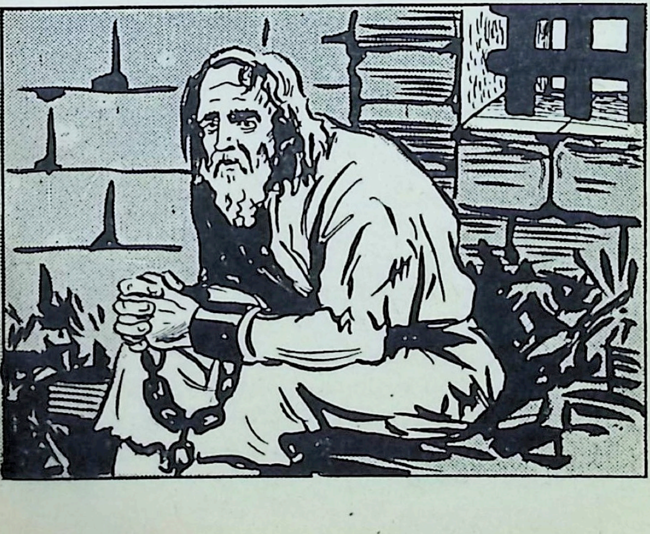

أنواع الجرائم حتى قبضت عليه السلطات واعيد الى اسبانيا مصفدا فى الاغلال !٠٠ ولكنه ما كاد يصل الى اسبانيا حتى أخلى سبيله ، وبرغم ذلك فان حزنه وخيبة أمله من جراء ما أصابه تركته كسير القلب مكلوم الفؤاد ٠٠

ومات كولمبس ، فى سن الستين ، مجهول القدر من الناس ، محروما من كل تكريم أوشكران ٠ مات فى حجرة رثة ، رديئة التهوية ، علقت على جدرانها تلك الاصفاد التى صفد بها فى السجن ـ وقد احتفظ بها تذكارا محزنا لما تحفل به الدنيا من غرور وعقوق !

يموت قبل أن يجنى الثمرة ٠٠

◆ **لقد** أتم كولمبس عملا من أدهش واجرأ الاعمال فى التاريخ ومع ذلك فما الذى افاده منه ؟ انه كان يتوقع ان يقتنى من اكتشافه ثروة ، فمات معدما ٠ ومنى فى وقت من الاوقات بلقب أمير المحيط ، ونائب الملك فى الهند ، ولكنه لم يحصل على شىء من امانيه هذه ٠٠**حتى القارة التى اكتشفها لم يطلق اسمه عليها بل سميت باسم صانع خرائط اسمه «أمريكوفسبوتشى» ! وهكذا نجد ان الشىء الوحيد الذى عاد على كولمبس من اكتشافه العالم الجديد هو انكسار القلب والتحقير !**

وحتى الاحساس بالرضا والزهو باكتشافه قارة جديدة ،لم يتحقق له ٠٠ فقد ظن ان ما اكتشفه لم يكن سوى طريق جديد الى الهند ليس غير ! وكان ذلك هو السبب الذى من أجله أطلق اسم « الهنود الحمر » على السكان ذوى البشرة الحمراء الذين وجدهم فى أمريكا !

ومع ذلك فقد نال كولمبس تعويضا واحدا : فقد عزى اليه الفضل فى أن يكون أول رجل اكتشف امريكا ، بينما هو لم يكن كذلك على الاطلاق ! ٠٠ فقبل ان يولد بألف عام ، أكتشف

أمريكا كاهن بوذى من الصين اسمه « هو ـ شن » !٠٠ ثم ، قبل مولد كولمبس بخمسمائة عام ، تمكن رجل اخر اسمه « ليف اريكسون » من اكتشاف أمريكا بدوره ٠ ولم يزل فى مقدورك أن ترى ما يعتقد المؤرخون أنه خرائب المنازل التى بناها « ليف اريكسون » على شواطىء نهر (تشارلس) فى ولاية « ماساشوستس » ـ وتقع هذه الخرائب على مسيرة اقدام من جامعة هارفارد المشهورة !

لكن التاريخ سيشرف اسم كولمبس الى الابد ، كرجل له شجاعة الابطال وتصميمهم الذى لا يعتوره وهن ٠٠ فعندمارغب الجميع فى الاقلاع عن الفكرة التى نادى بها ، اصر هو عليها ٠٠ وعندما أصبح بحارته مثار رعب له ، فهددوه بالتمرد عليه ـ بل وبقتله ـ اذا لم يعد ادراجه ٠٠ ظل كولمبس يجيبهم جوابا واحدا لا يتغير ، هو : « أبحروا ٠ أبحروا ٠ أبحروا » !

كليوباترة

حياتها فى سطور

◆ كليوباترة ، ملكة مصر التى تحدث التاريخ عن جمالها وغرامياتها !

◆ ولدت حوالى سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وشاطرت اخاها بطليموس وراثة عرش مصر وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، على انها سرعان ما حرمت من حقوقها واضطرت للفرار الى سوريا لخلافها مع اخيها

◆ عندما غزا يوليوس قيصر مصر ، دبرت حيلة مسرحية غريبه للقائه فى الاسكندرية ، فخلبت لبه وساعدها فى القضاء على اخيها والانفراد بالعرش . حتى اذا عاد قيصر الى روما ، رافقته حيث عاشت خليلة له أمام الملأ ، وانجبت منه ولدا .

◆ ثم اغتيل قيصر ففرت عائدة الى مصر

◆ عندما علا نجم مارك انطونيو ، عملت على فتنته ، وتبادلا الغرام المشبوب فترة انجبا خلالها ثلاثة اطفال . ثم ضج اهالى روما من انصراف انطونيو الى غرامه ، فاوفد اوكتافيوس لتاديبه . واذ هزم الاخير جيوش العاشقين ، لاذت كليو باترة بضريح فخم كانت قد شيدته لنفسها . وظنها انطونيو قد غدرت به وهجرته فانتحر !

◆ قال بعض المؤرخين انها امرت بانطونيو فحمل اليها وتوفرت على تمريضه حتى مات بعد قليل

◆ اراد اوكتافيوس ان يقودها فى شوارع روما كاسيرة له ، ولكنها انتحرت بافعى تركتها تلدغها فى ثديها !

«كتابى»

ساحرة وادى النيل

◆ **هذا** طرف من قصة أشد المعشوقات اغراء وقدرة على رفع ضغط الدم عند الرجال ! لقد كان اسمها كليوباترة ، ملكة مصر والهتها .. كليوباترة ساحرة وادى النيل !

ماتت منذ ألفى عام ، ولكن شهرتها لم تزل تتأجج لامعة عبر القرون ..

انتحرت فى سن التاسعة والثلاثين ، ومع ذلك ففى زحمة نصيبها القصير من الحياة ، استحوذت واستولت على حب رجلين من أعظم وأشهر من ذرع وجه الارض من البشر : « مارك أنطونيو » و « يوليوس قيصر » ، والاخير منهما هو الذى تشرفه فى كل مرة تنطق فيها باسم شهر يوليو الذى سمى هكذا تخليدا لذكراه !

وقد غزا قيصر العالم كله تقريبا ، ولكن كليوباترة الصغيرة غزته هو ! والقصة التى تروى لنا كيف تمكنت من ذلك ، تعتبر من الحوادث التاريخية المثيرة :

فعندما زحف قيصر على الاسكندرية ، فى السنة الثامنة والاربعين قبل ميلاد المسيح ، كانت كليوباترة فى مركز سيىء : فان عرشها كان قد انتزع منها ، ولم يكن لديها مال . وكان خطر جسيم يتهددها بقطع رأسها ، فقد تزوجت من أخيها ولكن نشب بينهما نزاع عائلى ، فأعلن عليها الحرب .. واذ ذاك اضطرت الى الفرار من القاهرة لتنجو بحياتها !

وأصدر قيصر أمره اليها بالمثول أمامه . ولكن كيف تستطيع ذلك ؟ كانت هذه هى المشكلة ، فالاسكندرية كانت موبوءة بجواسيس أخيها المنبثين فيها ، والقبض عليها كان معناه قتلها فى الحال !

دهاؤها يوقع « يوليوس قيصر » فى الشرك !

ومن ثم ففى احدى الليالى المظلمة ، تسللت فى قارب صيد صغير ، وجعلت خادمتها تربطها وتلفها فى بساط حمل فى القارب الى القصر ٠٠ وهناك فك البساط أمام عينى قيصر الجبار !

وعندما وثبت كليوباترة خارجة من البساط ، وأخذت فى الضحك والرقص متنقلة فى أرجاء الغرفة ، دفع منظر جسمها البديع الدم حارا دافقا فى عروق قيصر ، حتى لقد فغر فاه مدهوشا !

كان قيصر يزهو بأنه من سلالة فينوس ، آلهة الحب ، ومن ثم كان يعتز بأن يكون حكما فى مفاتن النساء ، ولكن الذى أبصره لحظتئذ كان شيئا جديدا خارقا ، يبهر الانفاس ! قال لنفسه : « وا عجباه ! وا عجباه ! ما هذا ؟! منذ متى كان يوجد مثل هذا ؟! ولماذا لا تكون عندنا فى روما بنات من هذا الطراز ! »

كان عاهل الرومان فى الرابعة والخمسين من عمره ، أصلع الرأس ٠٠ بينما كانت كليوباترة تتدفق حيوية وشبابا - شباب العشرين ! - فما أن تطلع قيصر اليها حتى أحس بأن موجة مد وجزر قد رفعته الى ذروة متلاطمة بالحب والاعجاب العنيف ٠ وهكذا أمكنها بحرارة مشاعرها ، ولمعان ذكائها ، أن تجعل من قيصر عبدها الخاضع مدى الحياة !

واستمع قيصر الى شكواها : اذن فأخوها يبغى قتلها ؟ ويحه ! وأقسم قيصر أن يلقن ذلك الشاب المتغطرس درسا لن ينساه ٠٠ فكان أن زحف على رأس جيشه الرومانى الى حيث التحم مع الجيش المصرى فأباده عن بكرة أبيه وطارد شقيق كليوباترة الى ضفاف النيل حيث ابتلعته الامواج !

ومنذ ذلك الوقت أصبحت كليوباترة ملكة مصر بغير منازع، وتوطدت سيطرتها على أرض الفراعنة من أقصاها الى أقصاها !

وتوالت الشهــور ، وأنجبت كليوباترة لقيصر ولدا هــو الولد الوحيد الذى رزقه فى حياته ! ولما كانت لقيصر زوجة تركها وراءه فى روما ، فانه بالطبع لم يستطع أن يتزوج من كليوباترة ـ فلقــد كان ذلك كفيلا بأن يثير عليهــا لغط الالسنة ! ـ ومن ثم فلكى تكمم الفضيحة وتجعل الابن فى مركز شرعى ، لجأت كليوباترة الى مناورة بارعة : أمرت الكهنة بأن يعلنوا أن يوليوس قيصر لم يكن انسانا من البشر .. كلا ! بل كان الها ! انه ليس غير « آمون » اله الشمس قد تجسـد وعاد الى الارض فى صورة قيصر ، لينجب نسلا للملكة !

ان هذه القصة تبدو لى الآن ساذجة سخيفة . ولكن الناس فى مصر صدقوها منذ ألفى عام !.. (وأعتقد أنه كان سيصبح من العسير على كليوباترة أن تجد أناسا يصدقون هذه الخرافة لو أنها حاولت ذلك الآن !)

مارك انطونيو يقع بدوره فى الشرك !

◆ **بعد** هذه الاحداث بوقت قصير ، قتل قيصر غيــلة .. وأصبح مارك أنطونيو ، الدائم الصخب ، الغارق فى الديون ، والذى لا يفيق من الشراب ، بسيد الرومان ومولاهم .. واذ أثملته خمرة انتصاره على منافسيه ، سير جيوشه الى الشرق ، حيث عاش يعيث فى الارض فسادا ونهبا وسلبا !

وكانت مصر أغنى بلد فى الشرق ، فقال له أتباعه مرة وهو فى وعيه : « أنصت الينا .. فلنمض قدما الى الاسكندرية ، لنقطع رأس كليوباترة ونغترف من خيرات مصر ! »

ومضوا .. وارتعدت أوصال كليوباترة : كيف يتسنى لها أن تصد زحف أنطونيو ؟ أبالاسطول والسلاح ؟ مستحيل ! أم بالحب والقبلات ؟ نعم ، ربما يفلح هذا السلاح ! وهكذا ، بما جبلت عليه الماكرة من حيلة ، وعبقرية مسرحية ، **اتخذت**

أهبتها لملاقاة أنطونيو فى سفينة موشاة بالذهب ، ذات أشرعة أرجوانية ، وقد أحاطت نفسها بالابهة والبهرج اللذين ذكرا فى ألف ليلة وليلة ، ورافقها صبية صغار تزيوا بزى كيوبيد ، وزينوها هى برياش الطاووس ، بينما العذارى الفاتنات ، المدثرات بالدمقس ، كن يرقصن على نغمات موسيقى الصحراء الضارية ، وقد أسكر عبير البخور الحواس ٠٠ وفى وسط هذا السحر الشرقى اضطجعت كليوباترة على وسادة من الحرير ، وقد اتخذت وضع « فينوس » الهة الحب ، فبدت ساحرة ، فاتنة ، لا تقاوم !

ترى ، ماذا كنت تصنع لو كنت أنت مارك أنطونيو ؟ إن ما فعله كنت أفعله أنا لو كنت مكانه : فلو فرضنا أنه كان طريح الفراش بسبب اصابته بالروماتزم ، أو زاهدا فى النساء ، لما استطاع أن يقاوم فتاة كهذه ـ والواقع أنه لم يفكر حتى فى المحاولة ! ـ فما بالك ومارك أنطونيو كان جنديا خشنا ، متوحشا ، فظا ، وكان يقيم سهرات ماجنة ، لنساء متهتكات ، وشراذم من الافاقين ، مما أثار اشمئزاز روما نفسها ؟!

وهكذا غدت كليوباترة ، المرأة ذات الاصل العريق ، والانسانة المثقفة المهذبة ٠٠ المرأة التى تحفظ الشعر وترويه ٠٠ هكذا غدت كليوباترة ٠٠ خليلته !

لقد كان ولعه بها أول لمسة من لمسات السمو والجمال أحس بها فى حياته الصاخبة ٠ فلقد ألهمته الاخلاص والوفاء بطريقة ما تزال تستثير اعجابنا منذ أكثر من عشرين قرنا !

حماقات كليوباترة وأنطونيو !

ولقد عرفت كليوباترة كيف تسوسه ، فلم تتذمر من مسلكه ٠٠ وانما فعلت كل ما أرادها هو أن تفعله : قامرت معه ، ورافقته فى رحلات صيد الحيوانات والاسماك ٠ وأحيانا كانت تتنكر فى زى عبد وتجوس معه خلال الشوارع فى الليل ٠ وتحت تأثير الخمر كانت تقتحم معه بيوت رعاياها ، وتسحب

الكراسى من تحت الجالسين عليها ، وتداعب دعابات عنيفة ٠٠ وذات مرة بينما كانا يصطادان السمك ، شكا لهاأنطونيو من أنه لم يصطد شيئا ، فأمرت كليوباترة أحد خدمها بأن يغوص تحت القارب وأن يضع سمكة مملحة فى سنارته ٠٠ رغبـة منها فى ارضاء غروره وادخال السرور على نفسه !

وقد تملقت كليوباترة « معدة » أنطونيو وحرصت على العناية بطعامه ، الى حد أنها أعدت عددا من الطهاة وأمرتهـم بأن يكونوا على استعداد لتقديم وجبة فاخرة ساخنة فى أية «لحظة» من الليل أو النهار يطلب فيها أنطونيو طعاما !

وقد افتتن أنطونيو بها الى حد أفقده كل مظاهر التعقـل ٠٠ فمنحها كل شاطىء فينيقيا كهدية ، ثم قدم لها مقاطعـة (اريحا) كهبة ، وكذلك جزيرة قبرص ، وجـزيرة كريت ، وأخيرا بلغ الذروة فى اسرافه فتنازل لها عن كل آسيا الصغرى!

أثارت أخبار كل هذه المنح والهدايا روما وجعلتها تغـلى بالحقد والغضب ٠ ماذا ؟ أتذهب كل هذه الاصـقاع التى اكتسبت بمئات المعارك ودفع ثمنها من الدم الرومانى ، فيودى بها كشىء تافه لا قيمة له ، لمجرد اشباع نزوات محظية مصرية ؟ لقد كان الجواب هو الحرب ٠ وها قد دنت ساعة كليوباترة ٠ لقد أسرفت فى تصرفاتها ٠ وها هى ساعة الحساب قد حلت ٠٠ واذا بروما وقد وثبت فى غضبة قوية وحطمت مراكب أنطونيو وكليوباترة وشتتت شمل جيوشهما !

المأساة المزدوجة ٠٠ التى هزت العالم !

◆ **وكانت** هذه هى الخاتمة ٠ وكانا هما يعرفان ذلك ٠ وقد قدر أنطونيو أنه سوف يقبض عليه ويقطع رأسه ٠٠ ومن ثم آثر الانتحار ٠٠ فطعن نفسه بحربة ، ولاقى النزع الاخير بين ذراعى كليوباترة التى ظل متعلقا بها فى الموت كما تعلق بهـا فى الحياة ! وقد آلت كليوباترة على نفسها ألا تقع فى قبضـة أعدائها حتى لا تقاد مكبلة بالاغلال فى شوارع روما أمام جمهور

الدهماء تتصايح مستهزئة بها .. فانتحـــرت بدورها ، بأن تعاطت سما . ولكن كيف فعلت ذلك ؟

لن يستطيع أحد أن يجزم بما حدث . حتى الذين عثروا عليها بعد موتها بعشرين دقيقة لم يستطيعوا حل هذا اللغز . فبعض الناس يظنون بأنها قد جرحت نفسها ثم صبت فى الجرح سم الثعبان . والبعض يقول بأن ثعبانا قد دس لها فى سلة زهور وانها تركت الثعبان يلدغها فى صدرها

وهى ترقد اليوم بجوار مارك أنطونيو فى مكان ما بمصر . والمكان الذى دفنا فيه لم يزل لغزا حتى الآن ! فاذا ذهبت الى الاسكندرية وعثرت على قبرها فانك ستكون من المحظوظين ، وسيتألق اسمك على أعمدة بارزة من الصفحات الاولى في كل صحيفة كبرى من صحف العالم !

الرئيس ويلسون

حياته فى سطور

◆ « توماس وودرو ويلســـون » ، الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة

◆ ولد فى ستونتون بولاية فرجينيافى ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٦

◆ تلقى تعليمه فى الجامعات الامريكية « برينستون » و « فرجينيا » و « جـــون هوبكنز »

◆ بدأ حياته العامة حين استقال من رئاسة جامعة « برينستون » ـ بعد ان تولاها ثمانى سنوات ـ ليصبح حاكمـــا لولاية « نيوجيرسى » فى سنة ١٩١٠ . ثم رشحه الديموقراطيون لرئاسة الجمهورية ففاز بها فى سنة ١٩١٢

◆ كاد تمسكه بحياد امريكا فى أوائل الحرب العالمية الاولى ان يحول دون انتخابه للرئاسة مرة اخرى فى سنة ١٩١٦ ، ولـــكنه استطاع الفوز

◆ اذ ذاك اقدم على زج امريكا فى الحرب ، على نظام دقيق ،حرص فيه على تحرير السلطات العسكرية من تدخل السلطات السياسية

◆ فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن مبادئه الاربعة عشر التىاتخذت اساسا لمعاهدة الصلح . وقام برحلتين الى اوربا بعد الحربللاشتراك فى مفاوضات الصلح ، برغم تحذير الاطباء .

◆ عند عودته من رحلته الثانية قام بجولة فى امريكا دعا فيهـــا للاشتراك فى عصبة الامم ، ولكنه سقط مشلولا فى منتصف الجولة وظل فى مرضه حتى مات فى ٣ فبراير سنة ١٩٢٤ «كتابى»

القديس الذى سجد له العالم .. ثم كفر به !

◆ **أى** نوع من الرجال كان « ودرو ويلسون » فى حقيقته ؟ لقد أطلق عليه البعض انه نابغة فذ ، بينما نعته آخرون بأنه أكبر فاشل !

كان يحلم برؤيا عذبة للسلام العالمى ـ تتمثل فى عصبة الامم ـ فكرس على مذبح هذه الرؤيا كل ذرة من حيويته وقوته ومواهبه .. لكنه مات أخيرا رجلا محطما ، على يد مثله العليا ذاتهـــا !

وعندما أبحر ودرو ويلسون الى أوربا سنة ١٩١٩ لقبه الناس بمنقذ الاجيال .. فقد رفعته أوربا الدامية الى مصاف الآلهة ، كما أوقد الفلاحون الذين عضهم الجوع الشموع أمام صورته، رافعين صلواتهم اليه كما لو كان قديسا !.. بل لقد خر العالم ساجدا تحت قدميه ، ومع ذلك فقد عاد بعد ثلاثة أشهر رجلا محطما مخذولا ، بعد أن فقد صداقة الكثيرين وربح عـــداوة مائة مليون نفس !

ان التاريخ يصور لنا ويلسون فى صورة « المدرس » المثالى : فى برود طبعه ، ووقاره ، وإفتقـــاره الى عنصر الحرارة الانسانية ! فى حين أنه كان فى حقيقته على النقيض من ذلك ، انسانيا الى أطراف أصابعه ، ظامئا الى توطيد الصداقة بين بنى البشر .. لكن خجله الفطرى هو الذى حال ـ لنكد الطالع ـ بينه وبين الظهور بمظهره الحقيقى ، وفرض عليـــه العزلة والانفراد .. وقد عبر عن ألمه لهذا الطبع الذى فطر عليه بقوله: « انى على استعداد للتضحية بأى شىء فى الوجود فى نظير أن أكون مختلفا عما أنا ، ولكن لا سـبيل الى خلق شخصيتى من جديد ! »

وقد استطاع ويلسون فى مناسـبات نادرة أن يتغلب على طبيعته التى أبغضها : من ذلك انه قفز يوما من منصة الاساتذة

فى مباراة لكرة القدم أقامتها جامعة (وسليان) التى كان مدرسا فيها ، كى يقود جموع المهللين للفريق المنتصر ·· وعندما كان فى (برمودا) خرج للتجديف فى أحد الزوارق ، لمجرد الاستمتاع بالثرثرة مع بحارة الزورق الزنوج

نموذج للبساطة ·· والثقافة

◆ **ويعتبر** ودرو ويلسون أكثر رؤساء الجمهورية الذين جلسوا فى البيت الابيض ثقافة واطلاعا ، مع أنه ظل الى سن الحادية عشرة يجهل القراءة والكتابة !·· وقد كانت مادته المفضلة للمطالعة فى أوقات راحته هى القصص البوليسية · **وقلما كان يهتم بالفنون ، حتى لقد قال مرة انه يفضل شراء صورة ملونة من ذات الستة بنسات على رسم بالفحم من ريشة الفنان العالمى « هويسلر » !**

بل ان هذا الاستاذ الذى أنفق حياته فى البيئة الجامعية المتزمتة ، اعترف مرة بأنه يفضل مشاهدة كوميديا موسيقية مرحة على حضور تمثيلية لشكسبير ، بحجة انه لا يذهب الى المسرح ليتزود بالثقافة والعلم وانما ليروح عن نفسه من عناء العمل · وأثناء اقامته بالبيت الابيض كان يتردد على مسارح « الفودفيل » الغنائية بانتظام مرة كل اسبوع على وجه التقريب ··

لا يهتم بمظهره ، ولا طعامه !

◆ **وقد** عاش ويلسون أكثر حياته فقيرا، فان مرتبه كمدرس كان ضئيلا الى درجة اضطرت معها زوجته الى أن تعمل فى تلوين الصور الشمسية وبيعها كى تساهم فى مواجهة نفقات الاسرة · وفى بداية عهده بالتدريس لم يكن ويلسون يملك أن يشترى لنفسه ثيابا لائقة ·· وفى مستقبل أيامه كان شبيها

بسلفه « لنكولن » فى عدم اهتمـــامه بمظهره الخارجى !٠٠
من أمثلة ذلك أنه وهو رئيس للجمهورية ألح عليه خادمه الخاص كي يرسل سترته القديمة الى الخياط لتغييرالشريط (الساتان) الذى يكسو حوافها ، فأجابه ويلسون : « كلا لا داع لذلك ، ففى وسعى ارتداؤها على هذه الحال سنة أخرى ٠ »

ومثل لنكولن ، كان ويلسون بدوره عديم الاهتمام بالطعام ، فكان يأكل كل ما يقدم له ٠٠ بل كثيرا ما كان يبـــدو أنه لا يتذوق ما يأكله أو يتنبه له ! وهو لم يدخن سوى سيجار واحد فى حياته ، أو قل انه لم يدخن سيجارا بأكمله ، اذ أصيب بدوار قبل أن يتمه !٠٠ والناحية الوحيدة التى كان فيها مسرفا مبذرا هى شراء الكتب ٠٠

وفاء نادر لزوجته !

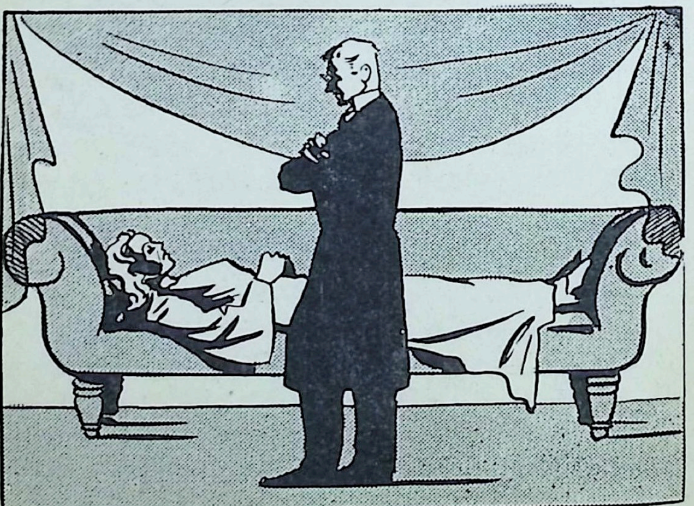

◆ **وتحت** ذلك المظهر الخارجى « الجامد » كان ودرو ويلسون يلتهب حماسة وعاطفة • ويقول الذين اختلطوا به عن قرب أنه كان يفوق «تيودور روزفلت» فى حدة طبعه • وقد كان شغفه بزوجته الاولى حارا ملتهبا ، وكان من أول أعماله على أثر فوزه برئاسة الجمهورية شراؤه هدية ثمينة لزوجته ! **وعندما وافتها منيتها بعد عام واحد من ذلك التاريخ أصر على الاحتفاظ بجثمانها فى البيت الابيض لمدة ٧٢ ساعة ، بل أمر بوضعها على أريكة وظل ملازما لها ثلاثة أيام بلياليها !**

ومع انه كان عملاقا فى قوته الذهنية ، فانه لم يكن يملك ناصية اللغة ، بل كان يجهل الكثير من التعبيرات الادبية •• كما كان يمقت العلوم ، ولا يبالى بالفلسفة

وقد بدأ حياته باحتراف مهنة المحاماة ، ولكنه فشل فيها فشلا ذريعا ، بل لم يستطع أن يستقل بالمرافعة فى قضية واحدة طيلة حياته ، ولم يعهد اليه بادارة أمواله سوى موكل واحد : والدته !

لم يعرف كيف يسوس الرجال !

◆ **وأكبر** الظن أن أكبر نقص فى صفات ويلسون كان افتقاره الى الكياسة والدهاء ، فى القول والعمل • وقد كانت أمنيته الوحيدة منذ نشأته أن يصير من رجال الحكم والسياسة، وكم من مرة أغلق على نفسه باب مخدعه وراح يتدرب على الخطابة ومواجهة الجماهير !•• بل انه فى سبيل الوصول الى مستوى الكمال كثيرا ما قام بأعمال وتصرفات عقيمة • مثال ذلك أنه ثبت على جدار غرفته لوحة تصور أنسب الحركات والايماءات اللائقة ، وأبلغ الاشارات التى يلوح بها كى يحدث فى سامعيه التأثير المطلوب !

ومع ذلك فقد فاته أن يتعلم أول وأهم درس يلزمه ، وهو كيف يعامل الناس ويسوسهم .. فكانت السنوات الاخيرة من حياته سلسلة مفجعة من حوادث فقد الصداقات وصلات الود مع الكثيرين .. فقد تشاجر مع زعماء مجلس الكونجرس ، وانتهت الى القطيعة صلاته بعدد من أخلص أصدقائه - من بينهم « الكولونيل هاوس » - وأخيراً أغضب العدد الكبير من مواطنيه من فرط مطالبتـــه اياهم بألا ينتخبوا للحكم غير الحزب الديمقراطى !

وحين رفض مجلس الكونجرس قبول فكرة عصـــبة الامم التجأ ويلسون مباشرة الى الشعب . وكانت صـــحة الرئيس ضعيفة من البداية بحيث حذره أطباؤه فى كل منـــاسبة من ارهاقها أكثر من طاقتها ، بأى مجهود اضافى .. لكنه تجاهل نصيحتهم ، فاذا بهذا العبقرى ذى العقل الجبار ، الذى هزت كلماته العالم ذات يوم ، ينتهى الى حالة من الضعف والانهيـــار لم يكن يقوى معها على التوقيع باسمه ما لم يمسك أحدهم بيده !

وبعد اعتزاله الخدمة ، تقاطر الزائرون من كافة أركان العالم على بيته الكائن فى شارع « س » بواشنطون ، كما لو كان كعبة أو مزارا !.. وحين رقد على فراش الاحتضار ركع الحجاج على الرصيف المواجه لبيته يبتهلون الى الله ويصـــلون على روحه ..

مارك توين

حياته فى سطور

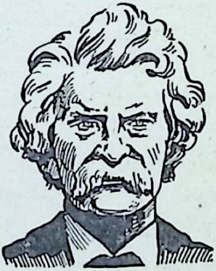

◆ « صمويل لانجهورن كليمنس » ، كاتب امريكى انتحل لنفسه اسم « مارك توين »

◆ كان الابن الرابع لتاجر فقير فى فلوريدا ـ بولاية ميسورى الامريكية ـ وقد ولد فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٥

◆ اضطر لان يهجر المدرسة ولما يبلغ الثانية عشرة ليعمل فى احدى المطابع .. وتنقل بين المطابع فى سانت لويز ونيويورك وفيلادلفيا وبنفسه رغبة فى أن يشاهد مختلف البلدان .

◆ فى بداية الحرب الاهلية الامريكية عمل فى المناجم . وعندما كان سوء الحالة الجوية يعطل العمل ، كان كليمنس ينصرف الى كتابة بعض القطع الادبية ويرسلها الى صحيفة « انترابرايز » بمدينة فرجينيا . فاعجب به صاحبها واستخدمه محررا . وحالفه التوفيق من البداية

◆ عاد الى صناعة التعدين بعد فترة ، فلم يوفق ، ولكنه انتج فى هذه الفترة قصة « الضفدع القافز » التى اذاعت صيته فى امريكا

◆ واطرد نجاح كليمنس بسرعة ، فصار من احب المحاضرين ، وراجت كتاباته رواجا كبيرا . ثم قام بجولة فى ارجاء العالم كان يلقى خلالها المحاضرات اينما حل . وعاش بعدها فى لندن وفيينا لاربع سنوات .

◆ مات من جراء مرض القلب فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٠

« كتابى »

ملك الادب الفكه فى العالم الجديد

◆ **أنفقت** هوليوود أربعمائة ألف جنيه لاخراج فيلم عن حياة رجل من أبرز العظماء الذين أنجبتهم الولايات المتحدة ، وكان يعد بحق أشهر أديب فى جيله على الاطلاق ، وأكثرالكتاب الفكهين حظوة باقبال القراء في جميع الازمان !

وقد التحق فى صباه بمدرسة كانت عبارة عن كوخ خشبى من جذوع الاشجار ، وظل فى هذه المدرسة الى أن بلغ الثانية عشرة ، فكان ذلك هو كل التعليم المدرسى الذى حصل عليه فى حياته ! ومع ذلك فان جامعتى « اكسفورد » و « ييل » منحتاه درجات الشرف ٠٠ وتهافت على زمالته أقطاب الثقافة فى كل بقاع العالم ٠٠ واستطاع أن يجمع من تأليف الكتب ملايين الجنيهات ! ــ ولعله جمع من المال من انتاج قلمه ما لم يجمعه كاتب فى العالمين القديم والحديث! ــ ورغم انقضاء أربعة وأربعين عاما على وفاته فان سيل الذهب ما يزال يتدفق بلا انقطاع على ورثته من استغلال حقوقه فى مؤلفاته ، سواء عن طريق الطباعة أو السينما أو الاذاعة ٠٠

والاسم الحقيقى لهذا المؤلف هو « صمويل لانجهورن كليمنس » ، ولكن العالم يعرفه باسم « مارك توين » !

وتمتاز حياة مارك توين بطابع المغامرة ، فقد عاش فى عصر ملىء بالاحداث الجسام الواضحة المعالم فى تاريخ أمريكا ٠ وقد ولد منذ مائة وخمسة عشر عاما فى قرية صغيرة هادئة لا تبعد كثيرا عن نهر المسيسبى ٠٠ وكان مولده بعد انشاء أول خط للسكك الحديدية فى بلاده بسبع سنوات ، وقت أن كان ابراهام لنكولن يعمل أجيرا زراعيا فى حقل ويسير خلف محراث خشبى وهو حافى القدمين !

ولقد عاش مارك توين خمسا وسبعين عاما مثيرة ، ومات عام ١٩١٠ فى ولاية (كونكتيكت) بعد أن كتب ثلاثة وعشرين

كتابا .. وبعض هذه الكتب قد طواه النسيان ، ولكن كتابين منها سيظفران بالخلود الادبى ، وسيقرأهما الاحداث فى كل جيل دون أن يفقدا طلاوتهما . والكتابان اللذان نعنيهما هما « توم سوير » و « هكلبرى فين » ، وقد ضمنهما عصارة تجاربه بحيث يمكن القول انه لم « يكتبهما » وانما انفجرا منه انفجارا !

يتعلم من الطبيعة

◆ **وقد** ولد مارك توين فى كوخ صغير من حجرتين . ولا شك أن الفلاح الامريكى فى أيامنا هذه يأنف من أن يضع مواشيه أو دواجنه فى حظيرة كالكهف الذى قضى فيه مارك توين أيام طفولته ! وفى تينك الغرفتين المظلمتين كان يسكن ثمانية أشخاص هم أفراد الاسرة السبعة ومعهم جاريتهم الزنجية . وكان مارك توين فى طفولته سقيما نحيلا ، بحيث لم يكن مقدرا له أن يتجاوز الشتاء الاول حيا !

وحين كبر الصبى صار مشكلة محيرة ، فقد اعترفت أمه بأنه سبب لها من التعب والارهاق أكثر من باقى أفراد الاسرة مجتمعين . كان يمقت المدرسة أشد المقت ، فكان لهذا السبب يهرب من البيت ويهيم على وجهه نحو شواطىء نهر المسيسبى ، مفتونا بمناظر النهر الجبار ، بجزائره الغامضة الخلابة ، والزوارق التى تتهادى برفق على مياهه .. معجبا بتياره القوى وهو يجرى بعنف الى البحر .. وقد استهواه النهر كما ذكرنا فكان يجلس على ضفافه ساعات طويلة ، وقد أطلق العنان لأحلامه ! وبلغ من حبه للمجازفة أن أشرف على الغرق فيه تسع مرات متتالية .. ولكن فيما هو يلعب لعبة الهنود الحمر والقراصنة ، أو يطوى الخلاء الرحيب باحثا عن المغاور والكهوف ، أو يأكل بيض السلحفاة ، أو يخاطر بعبور النهر فى زورق صغير .. كان فى الوقت نفسه يختزن فى ذهنه التجارب والمعلومات القيمة عن كل تلك المناظر والشخصيات الحية التى خلدها فيما بعد فى كتابيه العظيمين اللذين أسلفنا الاشارة اليهما

ورث الدعابة عن أمه

◆ **ولقد** ورث مارك توين عبقريته فى الفلسفة الساخرة الضاحكة عن أمه .. فلئن كان قد صرح مرة بأنه لم ير أباه يوما يبتسم ، فانه وهو يروى سيرة أمه شهد بأنها « كانت ذات موهبة فذة نادرة فى الرجال ـ ومعدومة فى النساء ! ـ هى القدرة على اضحاك الناس بكلام لا تدرى أن فيه ما يضحك ! » وهذه الموهبة التى ورثها مارك توين عن أمه جعلته من أشهر أمراء الفكاهة فى كل العصور ، وهيأت له أسباب الثراء العريض سواء من كتبه أو محاضراته وخطبه !.. والحديث عن أمه يذكرنا بأنها كانت من ذوات القلوب الرقيقة والشعور المرهف: فكانت تشفق من قتل الذباب ، وتزجر القطط اذا ناوشت الجرذان ! وعندما زاد عدد القطط الصغيرة فى البيت ذات يوم عن القدر المطلوب ، بحيث رأت أن لا مفر من اغراق بعضها ، أدفأت لها الماء الذى أغرقتها فيه حتى تموت بسلام !

وحين بلغ مارك توين عامه الثانى عشر ، دهمه القدر بوفاة أبيه ، وأمام هذه الصدمة القاسية أنبه ضميره على تمرده وعصيانه وعدم انصياعه لرغبات أبيه ، فذرف دموع التوبة نادما .. وعندئذ قالت له أمه مواسية مشجعة : « ان ما مضى قد مضى يا ابنى ولم يعد يعنى أباك فى كثير أو قليل ، ولكنى أريد منك وعدا » .. فقاطعها الصبى قائلا : « انى على استعداد لان أعدك بأى شىء تطلبين ، الا الذهاب الى المدرسة ! »

قصاصة ورق تغير مجرى حياته !

وأمام كراهيته للمدرسة لم تجد العائلة مناصا من الحاقه بمطبعة ، لاعتقادها أن هذا العمل سيتيح له أن يكسب عيشه ويثقف عقله فى آن واحد ! وكان أجره فى العامين الاولين لا يتعدى نفقات طعامه وملابسه .. لكنه خرج ذات يوم الى شوارع مدينة هانيبال بولاية (ميسورى) فرأى

قصاصة ورق ملقاة على قارعة الطريق ، فتناولها وأخذ يقرأ ما جاء بها ٠٠ وكان لهذا الحادث الصغير ، برغم تفاهته ، أقوى أثر فى تغيير مجرى حياته ، لان هذه القصاصة كانت صفحة ممزقة من سيرة جان دارك ٠ واتفق أن هذه الصفحة كانت تسرد قصة سجنها فى حصن (روان) ٠٠ فحركت المظالم التى قاستها الفتاة الباسلة مشاعر مارك توين وجعلته يتساءل : « من تكون جان دارك ؟ » ولم يهتد الى جواب ، فانه لم يكن قد سمع بها من قبل ٠ ولكن منذ تلك اللحظة أخذ يبحث عما كتب عنها ويلتهمه التهاما ، وظل الشغف بسيرتها قويا جارفا فى نفسه قرابة نصف حياته ، حتى لقد وضع عنها بعد هذا الحادث بستة وأربعين عاما كتابا سماه « ذكريات عن جان دارك » ٠٠ وقد رأى أن الكتاب اذا حمل اسمه فسوف ينظر اليه الجمهور نظرتهم الى كتاب فكاهى ، فى حين كان همه أن يراه الناس جدا لا هزل فيه ، ومن ثم أخرجه غفلا من اسمه !

ويقول « البرت بيجلو باين » الذى وضع سيرة حياة مارك توين فى أربعة مجلدات ، أن عثوره على تلك الصفحة من حياة جان دارك أيقظ فيه شغفا بدراسة التاريخ وألهب فيه حب الاطلاع ، فصار ذلك أبرز طابع فى حياته العقلية وظل ملازما له حتى اليوم الاخير من حياته ٠ ومنذ وقعت فى يده تلك الورقة ، دخل اسمه فى سجل الصفوة المختارة من ذوى العقول الجبارة !

مغامراته « المالية » الحمقاء !

◆ **ومن** أطرف ما يؤثر عن مارك توين ، انه كان فى شئون المال أجهل من دابة ، وكانت تستهويه المشروعات الخيالية المتعذرة النجاح !٠٠ من ذلك انه قرأ مرة كتابا عن تجارة الكاكاو ، فسيطرت عليه فكرة شراء الكاكاو من مواطن زراعته فى الاحراش القائمة عند أعالى نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية ،

وكان يمنى نفسه بجمع ثروة طائلة من هذه التجـــارة التى لا يعرف عنها شيئا !٠٠ وحين فكر فى هذا « المشروع » لم يكن يملك قليلا أو كثيرا من المال اللازم للقيام بالرحلة الطويلة، كما كانت تواجهه عقبات أخرى كثيرة : فهو لو اســـتطاع الوصول الى منابع الامازون فهيهات له أن يتفاهم مع السكان الذين يجهل لغتهم !٠٠ وربما فتكت به الحمى فى تلك المناطق الحارة ٠٠ ولكن برغم ذلك كله فاليك ما حدث فعلا ـ ولو انه يبدو بعيد التصديق : عثر صاحبنا يوما فى أحد الشوارع على ورقة من فئة العشرة جنيهات ، فما أن التقطها حتى شرع من فوره فى رحلته المنشودة الى نهر الامازون !٠٠ وطبيعى ان هذا المبلغ الضئيل نفد منه قبل أن يقطع مرحلة من الطريق ، فاضطر الى قطع رحلته !

المشروع الوحيد الذى سخر منه ٠٠ كان ناجحا !

وقد ربح مارك توين فيما بعد أموالا طائلة من كتبـــه ومحاضراته ، ولكنه كلما أراد أن يوظف ماله فى أى مشروع ، كان يرجع بخفى حنين !٠٠ واليك أمثلة أخرى « واقعيـة » لمشروعاته الخيالية :

سجل مرة اختراع آلة لتوليد البخار ، ولكنها أصيبت بالعقم فلم تولد شيئا !

وساهم فى شركة لتجارة الساعات ، فلم تقو على الاستمرار حتى نهاية عامها الاول !

وفتح دارا للنشر فأفلست ، بعد أن خسر فيها ٣٢ ألف جنيـــه !

وأنشأ مسبكا للحروف ، فعاد عليه بخسارة تقدر بأربعين ألف جنيه !

وذات يوم التقى بمخترع شاب هو « الكسندر جراهام بل »، فحاول المخترع استمالته لاستثمار ماله فى اختراع حـــديث يدعى « التلفون » ، وأخذ يشرح له منافع هذا الاختراع بقوله :

« انك بفضل التلفون تستطيع وأنت جالس على مقعدك المريح فى منزلك أن تخاطب ـ بواسطة سلك ممدود ـ صديقا لك يبعد عنك بخمسة شوارع ! » ‥ فأطلق مارك توين ضحكة سخرية عالية وأجابه : « قد أكون غبيــــا يا عزيزى ، ولكنى لست من الجنون بحيث ألقى مالى فى أسلاك تتكلم ٠ يا له من اختراع سخيف ! »

ولو كان مارك توين أقبل على شراء ما قيمته مائة جنيه فقط من أسهم شركة التلفون التى عرضت عليه يومئـــذ ، لبلغت قيمة هذه الاسهم وحدها اليوم ملايين الجنيهات !‥ لكنـــه عوضا عن ذلك أقرض المائة جنيه لصـــديق ما لبث أن أعلن افلاسه بعد أن استلم النقود بثلاثة أيام !

يشقى ٥ سنوات ‥ ليسدد ديونه !

◆ **وفى** عام ١٨٩٣ ، وهو فى الثامنة والخمسين ، وجد مارك توين نفسه غارقا فى بحر من الديون ‥ وكانت البلاد ترزح تحت وطأة كارثة مالية ، وهو يشكو اعتلال صـحته ، وكان ميسورا له أن يتخلص من ديونه باعلان افلاسه ، ولكن شرفه أبى عليه الا أن يرد لدائنيه كل مبلغ فى ذمته !

واذا صح العزم وضح السبيل ٠ وقد اتضح له السبيل لتسديد ديونه يومئذ عن طريق تأليف الكتب والقيام برحـلة حول العالم لالقاء المحاضرات ‥ وقد كان ، فبالرغم من اعتلال صحته وزهده فى المحاضرات ، فانه قضى خمس سنوات يطوف أنحاء العالم ويحاضر عشاق أدبه حيثمــا ألقى ترحاله ، كى يسدد ما عليه من ديون ! وكللت الرحلة بنجاح فاق كل انتظار، حتى لقد تعــذر ايجاد قاعات فسيحة الارجاء تتســع لكل الجماهير التى احتشدت لسماعه !‥ وعندما ســـدد آخر ديونه ، كتب هذه العبارة : « أشعر الآن بالسلام يغمر قلبى بعد أن انزاحت الديون عن كاهلى ٠ ومنـــذ اليوم لن يكون العمل عناء ومشقة ، بل لونا من ألوان المتعة واللذة ! »

سعيد الحظ فى الحب !

◆ **لكن** حظ مارك توين في الحب كان سعيدا موفقا ، بقدر ما كان حظه تعسا فى شئون المال ! فقبل أن تقع عينه على الفتاة التى تزوجها ، هام حبا بصورتها ٠٠ وقد حدث له ذلك وهو يقوم برحلة الى الارض المقدسة ـ (وهى الرحلة التى أثمرت كتابا له سماه « الابرياء فى الخارج ») ـ ففى أحد الايام ، وهو على ظهر الباخرة ، زار صديقا له فى غرفته يدعى « تشارلس لانجدون » ، ورأى على منضدته صورة أخته « أوليفيا لانجدون » ، فراعه جمالها ٠٠ وفى مثل لمح البصر أيقن أنها الفتاة التى يحلم بها زوجة له ٠٠ فصار يكثر من زيارة صديقه طيلة مدة الرحلة ليلقى على الصورة نظرة وقار

واجلال •• ويحلم بصاحبتها !

وبعد شـــــهور قلائل التقى مارك توين بأوليفيا لانجدون المذكورة فى مدينة نيويورك • ومنذ تلك اللحظة ـ كما كتب فى مذكراته ـ لم تبرح خاطره قط الى أن فارق الحياة ! **وقد تم زواجه بها بحيلة بارعة أجاد حبكها : فقد دعاه أبوها لقضاء بضعة أيام فى منزله بضاحية ألميرا بمدينة نيويورك •• واذ جاء موعد انتهاء الزيارة لم يرد أن يغـــادر البيت ، فاتفق مع سائق عربة رب الدار على أن يضع مقعد العربة فى وضع يسهل معه أن ينقلب منه الى الارض ! وعلى هذا الاساس حزم أمتعته وحيا أهل الدار ، ثم صعد ســـلم العربة ولوح بيده مودعا وشاكرا ، وألهب الحوذى ظهر الجواد بسوطه فقفز الى الامام قفزة جعلت مارك توين يهوى الى الارض مغمض العينين ، فى شبه غيبوبة !•• وهرعت الاسرة اليه ورفعتـــــه من الارض وعادت به الى داخل المنزل وهنـــاك بقى ملازما الفراش مدة أسبوعين كاملين ، ولم يكن يشكو ألما ولكنه بفضل هذه الحيلة اللطيفة أمكنه الاستمتاع بمحبوبته وهى تحنو عليه وتخدمه وتبذل له من ذات نفسها** •• وكانت تدعوه « الفتى العزيز » ، وكان هو يناديها « ليفى الغالية » •• واستمرا على هذا المنوال ـ بعد زواجهما ـ طيلة ثلاثة وأربعين عاما ! ظلت هى الى يوم موتها تدعوه « الفتى العزيز » ، وهو يناديها « ليفى الغالية »•• وبلغ بها اعزازها لخطابات حبه أنها كانت تضعها دائما فى حرز مقفل • وفى كل اجازة سنوية كانت تودع هذه الخطابات بأحد المصارف حرصا عليها من الضياع !

ظاهرة فلكية تعلن مولده •• ووفاته !

◆ **وقد** عاشت زوجتـــــه تشرف على كل ما يكتب ، فاذا ما أذنت الشمس بالمغيب وفرغ مارك توين من الكتابة ، حمل كل ما كتب ووضعه بالقرب من سريرها كى تطلع عليه قبل أن تنام ، فتحذف منه بعض الكلمات وتستبدل بها كلمـــات

أخرى كما يروق لها . ومهما حذفت وحورت فى انتاجه ، كان هو يقابل ذلك منها بالرضى والارتياح !

وكان مارك توين يفزع الفزع الاكبر من احتمال ضياع ثمار قلمه أو وضعها فى غير موضعها ، ولذلك لم يكن يأذن للخادم أن تقترب من مكتبه لتنظيفه ! وكثيرا ما كان يرسم بالطباشير على الارض حدودا معينة يحرم عليها أن تتجاوزها بحال !

واذ قطع مارك توين من مرحلة الحياة سبعين عاما ، قرر أن يستكين ويخلد الى الراحة .. سيما وان سنى الشيخوخة تحول دون الاجادة والاتقان اللذين يحرص عليهما .. ومن طريف شذوذه يومئذ أنه أمر أن تحاك له أربع عشرة حلة بيضاء ومائة رباط أبيض للرقبة ، وظل بقية حياته لا يرتدى شيئا الا ما كان أبيض اللون ، من هامة الرأس الى أخمص القدم .. حتى ملابس السهرة أعدت له خصيصا بيضاء !

وفى الليلة التى ولد فيها مارك توين ، عام ١٨٣٥ ، برز نجم جديد فى السماء يسمى « مذنب هالى » . وهذا النجم - كما يقول علماء الفلك - يعود الى الظهور كل ست وسبعين سنة . وكانت أمنية قلب مارك توين أن يعيش حتى يظهر « مذنب هالى » مرة ثانية ! وقد تحقق له أمله فكان «مذنب هالى» يضىء فى كبد السماء فى ذات الليلة التى مات فيها مارك توين عام ١٩١٠ !.. وكان رجاؤه الاخير أن تغنى له ابنته الاغانى الاسكتلندية الاثيرة عنده ..

وقد حفر مارك توين على القبر الذى أعده لابنته « سوزى » هذه السطور الاربعة التى كان يجدر بأمته أن تحفرها على مثواه :

يا شمس الصيف الدافئة .. ترفقى بهذا القبر
يا رياح الجنوب الساخنة .. تلطفى معه
أيتها الاعشاب الخضراء .. لا تثقلى عليه
طاب مساؤك - أيها القلب العزيز - طاب مساؤك

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المؤلف	٥
لورد بيرون	٩
اينشتاين	١٥
لينين	٢١
ماركونى	٢٦
الكسندر دوماس	٣١
غاندى	٣٧
هيلين كيلر	٤٢
شكسبير	٤٧
ستالين	٥٢
موزار	٦٠
تولستوى	٦٥
برناردشو	٧٠
روكفللر	٧٩
سومرست موم	٨٤
ايزنهاور	٩٠
الامبراطورة جوزفين	٩٩
هـ • ج • ويلز	١٠٥
نظام حيدر اباد	١١١
ادجار ألان بو	١١٦
الامبراطورة كاترين	١٢٢
زوجة ابراهام لنكولن	١٢٨
كريستوف كولمبس	١٣٣
كليوباترة	١٣٩
الرئيس ويلسون	١٤٦
مارك توين	١٥٢

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

اقرأ في هذا الكتاب قصص حياة :

شكسبير	الكسندر ديماس
غاندى	الرئيس ويلسون
لينين	برنارد شو
اينشتاين	الأمبراطورة كاترين
ماركوني	كريستوف كولمبس
تولستوى	مسز ابراهام لنكولن
الأمبراطورة جوزفين	هـ . ج . ويلز
سومرست موم	هيلين كيلر
موزار	ادجار ألان پو
كليوباترة	ايزنهاور
لورد بيرون	نظام حيدر أباد
ستالين	روكفلر
مارك توين	

مطبوعات
كتابي
يصدرها حلمي مراد